

The Islamic Endowment (Waqf) and Its Role in Humanitarian Relief

الوقف الإسلامي ودوره في الإغاثة الإنسانية

Saadi Khalaf Mutalib Al-Jumaili^{1,*}, Ilm Al-Din Abdullah
Abd Al-Fahdawi¹

سعدى خلف مطلب الجميلي^{١*}، علم الدين عبد الله عبد الفهداوي^١
^١ كلية العلوم الإسلامية، الجامعة العراقية، بغداد، العراق.

¹ College of Islamic Sciences, University of Iraq, Baghdad, Iraq.

ABSTRACT

This study examines the Islamic waqf (endowment) as a long-standing religious, social, and economic institution whose impact has endured from the Prophet's era through the Umayyad, Abbasid, Mamluk, and Ottoman periods. It defines waqf linguistically and juridically, establishes its legitimacy from the Qur'an, Sunnah, and scholarly consensus, and classifies it into family and charitable types, as well as immovable and movable forms. The paper highlights the distinctive features of waqf—perpetual benefit and flexible conditions within Sharī'a limits—and foregrounds its humanitarian role: caring for orphans via schools and shelters, supporting the poor and needy with food, clothing, and debt relief, hosting travelers and the elderly through zāwiyas and ribāts, and founding bīmāristāns that delivered free healthcare, medical training, and post-discharge support. The analysis traces broad social outcomes, including strengthened solidarity, wealth redistribution, enhanced social belonging, and sustained knowledge mobility across the Islamic world. The study also diagnoses contemporary decline due to weak governance, corruption, and bureaucratic inertia, and proposes actionable reforms: reviving a culture of endowment, repurposing certain assets to meet current needs (orphans, seniors), adopting modern, transparent management practices, and leveraging responsive juristic opinions while safeguarding core religious principles.

الخلاصة

يستعرض البحث الدور التاريخي والحضاري للوقف الإسلامي بوصفه مؤسسة دينية-اجتماعية-اقتصادية مستمرة الأثر، بدأت مع العهد النبوي وتطورت عبر الدول الأموية والعباسية والمملوكية والعثمانية. يعرف الوقف لغويًا واصطلاحًا ويؤسس لمشروعياته من القرآن والسنة والإجماع، ثم يصنّفه إلى أهلي وخيري، وإلى عقاري ومنقول، ويبرز خصائصه مثل ديمومة النفع ومرونة الشروط ضمن الضوابط الشرعية. يركز البحث على الدور الإغاثي للوقف عبر التاريخ: رعاية الأيتام بتأسيس المكاتب والمدارس والإيواء، كفالة الفقراء والمساكين بالغذاء والكساء وسداد الديون، خدمة الغرباء وكبار السن في الأريطة والزوايا والتكايا، وبناء البيمارستانات التي قدّمت علاجًا مجانيًا وتعليمًا طبيًا ورعاية بعدية للمرضى. ويبين الآثار الاجتماعية الإيجابية: تعزيز التكافل وتوزيع الثروة وتقوية الانتماء المجتمعي وإتاحة التعليم والحركة العلمية بين الأقاليم الإسلامية. كما يشخص أسباب التراجع المعاصر (ضعف الحوكمة والفساد والروتين) ويقدم توصيات عملية: إحياء ثقافة الوقف، تحويل بعض الأوقاف إلى مؤسسات تخدم الاحتياجات الراهنة (الأيتام، العجزة)، اعتماد إدارة حديثة وشفافة، وتفعيل الآراء الفقهية الأقدر على الاستجابة لمتطلبات العصر مع الحفاظ على الثوابت.

Keywords

الكلمات المفتاحية

الوقف الإسلامي، الإغاثة الإنسانية، الرعاية الاجتماعية

Islamic waqf, humanitarian relief, social welfare

Received
استلام البحث
20/4/2025

Accepted
قبول النشر
10/6/2025

Published online
النشر الإلكتروني
29/7/2025

١ . مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

أما بعد : فقد قام الوقف الاسلامي بدور مهم في الاسلام عبر تأريخه المشرف ، وهو من الصدقات الجارية التي رغب فيها ديننا الحنيف ، والوقف يقوم بأدوار متعددة كالرعاية الاجتماعية ويقوم بدور اقتصادي وديني وسياسي وغيرها . وما زالت الاوقاف الاسلامية قائمة عبر مئات السنين ، إلا أن الملاحظ في العصر الحديث هو قلة موارد الاوقاف وقلة الاوقاف الجديدة على الرغم من حاجة المجتمع اليها بسبب الفقر الذي اجتاحت المجتمعات العربية والإسلامية ، وعجز الموارد المالية عن تلبية حاجات الفقراء والمحتاجين ، وضعف دور الدولة في الجانب الاقتصادي وإنشاء المرافق العامة . ونظراً لما أصاب المجتمع من تفكك اجتماعي وضعف الجانب الاقتصادي ، حري بنا أن نعمل أو نشجع العمل بهذا النظام الاسلامي الذي أثبت نجاحه عبر مئات السنين وأن نظوره وفق ادارة علمية منظمة مع الحفاظ على الثوابت الاسلامية .

وفي هذا الوقت العصيب يعيش فيه العالم بصورة عامة وعالمنا العربي والإسلامي بصورة خاصة في أصعب الظروف الانسانية بسبب الحروب والصراعات الداخلية التي مرت على الأمة العربية والإسلامية، كما جرى لبعض الدول العربية كفلسطين وسوريا ولبنان وليبيا والعراق وغيرها ، تلك الحروب التي اضطرت الملايين منهم الى ترك امكانهم والنزوح الى مناطق أكثر أمناً ، وبعيداً عن ساحات القتال، ولجأ بعضهم الى دول الجوار كما هو الحال في المملكة الاردنية الهاشمية التي قامت بالتعاون مع المنظمات الدولية والانسانية والاثنية ومنها منظمة الصليب الاحمر ومنظمة الهلال الاحمر والمنظمات العربية والإسلامية بإنشاء مخيمات اغاثية وايوائية للاجئين من الدول المجاورة ، ومن الدول التي استقبلت الملايين من النازحين تركيا .

ان من روافد الاغاثة في الاسلام موضوع الوقف الذي يعد من الروافد الاساسية الاغاثة، بل ان الوقف كان رافدا مهما لبيت مال المسلمين عبر تأريخه . فأحببنا ان نكتب في بحثنا هذا عن ((الوقف الاسلامي ودوره في الاغاثة الانسانية)) لنبين مكانة الوقف الاسلامي ودوره في الاغاثة الانسانية ، لقد استطاع الوقف الاسلامي ان يقوم بدور اغاثي متميز عبر التاريخ لشرائح متعددة في الدولة الاسلامية تشمل المسلمين منهم وغيرهم ، ومن هذه الشرائح شريحة الايتام وشريحة الفقراء والمساكين وشريحة العجزة والمسنين وغيرها .

تكون بحثنا من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. اما المبحث الأول فقد تناولنا فيه تعريف الوقف ومشروعيته وأهدافه ، وأما المبحث الثاني : فقد تناولنا فيه تاريخ الوقف وأقسامه ومميزاته .

وتناولنا في المبحث الثالث : الدور الاغاثي للوقف عبر التاريخ الاسلامي

وأما المبحث الرابع فقد تناولنا فيه الآثار الاجتماعية للوقف وجاءت الخاتمة بأبرز نتائج البحث . وأخيراً نسال الله تعالى أن نكون قد وفقنا في هذا البحث وأن يجعل عملنا خاصاً لوجهه الكريم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الباحثان

٢ . المبحث الاول : تعريف الوقف ومشروعيته وأهدافه

١.٢ . المطلب الأول : تعريف الوقف لغة واصطلاحاً

أولاً : تعريف الوقف لغة: هو من وقف يقف وقفاً ووقفاً خلاف الجلوس ، والموقف موضع الوقوف . ووقف بمعنى سكن من السكون وعدم الاحتراك ، وهو فعل لازم أحياناً ، ومتعدٍ أحياناً أخرى ، ومثال الفعل اللازم : وقفت على المنبر ، ومصدره الوقوف . ومثال الفعل متعدي : وقفت الدار وقفاً للمساكين بمعنى حبستها في سبيل الله ، وشيء موقوف أو وقف تسمية للمصدر ، والجمع أوقاف .

وأوقف هي لغة تميم ، وهي لغة رديئة ، وقد أنكرها الأصمعي من علماء اللغة ، وقال : الكلام وقفت بغير ألف ، وأوقفت عن الأمر بالألف بمعنى أقلت عنه ، وليس في فصيح الكلام ((أوقف)) إلا لهذا المعنى .

والفصيح بشكل عام هو ((وقف)) بغير ألف .^١

ومن معاني ((وقف)) حبس والاسم الحبس بفتح الحاء وتسكين الباء ، يقال : حبست حبساً أحبست أحباساً أي وقفت . وحبس الفرس في سبيل الله ، أي أن الفرس موقوفة على المجاهدين وأحبسه فهو محبس وحبس ، والأنتى حبسية ، والجمع : حباس ، والحبس على وزن فاعيل بمعنى مفعول ، وهو كل ما حبس بوجه من وجوه الخير ، ويصدق على كل شيء وقفه صاحبه.

(١) لسان العرب : أبو الفضل محمد بن منظور (٧١١ هـ) ، دار صادر بيروت ، مادة وقف ٩ / ٣٦ ، مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (٦٦٦ هـ) ، ط: ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م ص ٧٣٣ ، القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (٨١٧ هـ) ط: ١ ، المطابع الحسينية ، القاهرة ١٩١١ م ٢٠٥ / ٣ ، المصباح المنير في غريب شرح الكبير : أحمد بن محمد المقرئ الفيومي (٧٧٠ هـ) ، ط: ٥ ، المطبعة الأميرية - القاهرة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م ٢ / ٩٢٢

ويقال أيضاً: الحبس بضم الحاء والباء وهو كل ما وقف ، ويصبح الموقوف محرماً على الواقف لا يورث ولا يوهب ولا يباع من أرضٍ أو نخلٍ أو كرمٍ أو بناء ، فيحبس الأصل وقتاً مؤبداً ، وتسبل ثمرته ونتاجه وريعه ومنفعته تقريباً الى الله عز وجل¹.

ثانياً : تعريف الوقف اصطلاحاً : عرف الفقهاء الوقف بتعريفات متعددة لكنها بمعان متقاربة ، منها بألفاظ صريحة كلفظ ((وقتت وحبست ، وسبلت)) ومنها بألفاظ الكناية : ((تصدقت ، حرمت ، أبدت)) واليك بعضاً من هذه التعريفات :

أولاً : الحنفية :

عرف السرخسي من الحنفية الوقف بأنه : ((حبس المملوك عن التمليك من الغير))²

وعرفه المرغيناني بقوله : ((حبس العين على ملك الواقف والتصديق بالمنفعة بمنزلة العارية))³

ثانياً : المالكية :

عرفه ابن عرفة المالكي بأنه : ((اعطاء منفعة شيء مدة وجوده لازماً بقاءه في ملك معطيه ولو تقديراً))⁴

وعرفه الشنقيطي بأنه ((حبس عين لمن يستوفى منافعتها على التأييد))⁵.

ثالثاً : الشافعية :

عرفه الماوردي بأنه ((حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع التصرف في رقبته على مصرف مباح موجود))⁶ وبنفس هذا التعريف عرفه الخطيب

الشربيني⁷

رابعاً الحنابلة :

عرف موفق الدين ابن قدامة الوقف بأنه : ((تحبب الأصل وتسبيل الثمرة))⁸. ويلاحظ أن هذا التعريف قد اقتبس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

للصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((احبس أصلها وسبل ثمرتها))⁹

التعريف المختار

بعد عرض التعريفات السابقة للوقف نرى ان ما ذهب اليه ابن قدامة رحمه الله هو أدقها وأرجحها والله تعالى اعلم وذلك لأن تعريفه مقتبس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((حبس الأصل وسبل الثمرة)) والرسول صلى الله عليه وسلم هو افصح الناس لساناً وأقدرهم بياناً وأعطى جوامع الكلم ، ثم ان هذا التعريف قد اقتصر على ذكر حقيقة الوقف ، ولم يدخل في التفاصيل الأخرى ، كاشتراط القرية ، أو ملكية العين الموقوفة لمن تنتقل اليه وغيرها .

٢.٢.٢. المطلب الثاني : مشروعية الوقف

لقد ثبتت مشروعية الوقف في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والإجماع.

أولاً : الكتاب

قال الله تعالى ((لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون))¹⁰ وقال في آية أخرى ((وإن تصدقوا خير لكم))¹¹

(١) لسان العرب مادة حبس ٤٤٤/٦-٤٥ ، مختار الصحاح ص ١٢٠ ، القاموس المحيط ٢٠٦/٢ ، المصباح المنير ١٦٢/١ ، المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية - القاهرة

بإشراف مجموعة من العلماء ، ط: ٢ ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م ١٠٥٢/٢

(٢) المبسوط للسرخسي ، دار المعرفة ، بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ٢٧/١٢

(٣) الهداية شرح بداية المبتدئ : برهان الدين المرغيناني ، الطبعة الاولى ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٩٠٨م ١٠/٣

(٤) شرح منح الجليل على مختصر خليل : ابو عبد الله محمد الخرخشي المالكي ، دار صادر بيروت ، ٧٨/٧

(٥) مواهب الجليل على مختصر خليل : أحمد بن أحمد مختار الشنقيطي ، دار احياء التراث الاسلامي ، قطر ١٩٨٧م ١٦٢/٤

(٦) الحاوي الكبير في فقه الامام الشافعي : ابو الحسن محمد بن حبيب الماوردي - تحقيق وتعليق محمد علي معوض ، عادل احمد عبد الجواد ، دار الكتب العلمية - بيروت

ط: ١ ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ٥١١/٧

(٧) مغني المحتاج الى معرفة معاني الفاظ المنهاج ، شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الخطيب (٩٧٧هـ) ، دار احياء التراث العربي - بيروت ٣٧٦/٢

(٨) المغني : موفق الدين ابو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي (٦٧٠ هـ) ، دار الفكر - بيروت ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م ٥٩٧/٥

(٩) جزء من حديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وفي لفظ ((حبس الأصل وسبل الثمرة)) صحيح البخاري ، باب أوقاف النبي صلى الله عليه وسلم ٢٥٩/٥ ، صحيح

مسلم بشرح النووي ٨٥/١١

(١٠) سورة آل عمران: ٩٢

(١١) سورة البقرة: ٢٨٠

وجه الدلالة من الآيتين أنّ الصدقات مندوب إليها ، والوقف صدقة فهو مندوب إليه .^١

ثانيا : السنة النبوية الشريفة

لقد وردت احاديث كثيرة في السنة النبوية الشريفة تحث على البر والخير وفعل المعروف والتصدق والإحسان ، والوقف يعني هذه المعاني المذكورة كلها ، ومن هذه الاحاديث ما يأتي :

١ - عن انس رضي الله عنه قال ((كان أبو طلحة أكثر الانصار بالمدينة مالاً من نخل ، وكان أحب أمواله إليه ببرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ، قال أنس فلما نزلت هذه الآية ((لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)) قام أبو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : إن الله تبارك وتعالى يقول : ((لن تتالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)) وإن أحب أموالي اليّ ببرحاء ، وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله سبحانه وتعالى ، ضعتها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بخ ذلك مال رابح ، ذلك مال رابح ، وقد سمعت ما قلت ، واني أرى أن تجعلها في الأقربين ، فقال أبو طلحة : افعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه))^٢

قال الامام القرطبي في تفسير هذه الآية ((ففي هذه الآية دليل على استعمال ظاهر الخطاب وعمومه ، فإن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يفهموا من فحوى الخطاب حين نزلت الآية غير ذلك ، ألا ترى أنّ أبا طلحة حين سمع لن تتالوا البر الآية لم يحتج أن يقف حتى يرد البيان الذي يريد الله أن ينفق منه عباده بأية أخرى ، أو سنة مبينة لذلك فأنهم يحبون اشياء كثيرة))^٣

٢ - ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : ((اذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث ، ألا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له))^٤

وجه الاستدلال من الحديث الشريف انه نص على أنّ الصدقة الجارية مما لا ينقطع أجرها عن العبد ولا يمكن تصور جريان الصدقة إلا بحبسها فهو مندوب إليه .^٥

وعقب الامام النووي في شرح هذا الحديث بقوله : ((وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظم ثوابه))^٦

٣ - روي عن عمرو بن الحارث بن المصطلق رضي الله عنه انه قال : ((ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته درهماً ولا ديناراً ولا شيئاً إلا بعلته البيضاء وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة))^٧

فلفظ ((صدقة)) تعني ((الوقف)) على التخصيص ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرثه أحد وبالتالي فإن التصديق بما تركه يأخذ صفة الديمومة والجريان ، أي أنّ ما تركه يحبس لصالح المسلمين عامة .^٨

٤ - عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ عمر بن الخطاب أصاب ارضاً بخبير فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها فقال يا رسول الله اني اصبت ارضاً بخبير لم أصب مالاً قط أنفس عندي منه ، فكيف تأمرني به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئت حبست أصلها وتصدق بها ، قال : فتصدق بها عمر انه لا يباع ولا يوهب ولا يورث وتصدق بها في الفقراء وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف . لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متمول))^٩

فالحديث الشريف يدل على صحة أصل الوقف دلالة واضحة .

(١) ينظر : أحكام الوقف في الشريعة الاسلامية للدكتور محمد عبيد الكبيسي ، وزارة الاوقاف وإحياء التراث الاسلامي ، الجمهورية العراقية ، مطبعة الارشاد - بغداد ١٣٨٧هـ -

١٩٧٧م / ١ / ٩٣ ، الوقف الاسلامي بين النظرية والتطبيق : عكرمة سعيد صبري ، ط ١ : دار النفائس للنشر والتوزيع - الاردن ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م ص ٩٢

(٢) صحيح البخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي ، تحقيق : د مصطفى البغا ، دار ابن كثير - بيروت ، اليمامة للطباعة - دمشق سوريا ط ٣ : ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م / ٢ / ٥٣١

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبد الله الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ - ١٢٧٢م) ، خرّج احاديثه محمد عبد القادر عطا ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م / ٤ / ١٣٢

(٤) صحيح مسلم مع شرح النووي : الامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ٨٥/١١

(٥) ينظر : أحكام الوقف : مصطفى الزرقا ، الجامعة السورية - دمشق / ١ - ٩٠ ، أحكام الوقف للدكتور محمد عبيد الكبيسي ٩٦/١

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٨٥/١١

(٧) صحيح البخاري ١٠٠٥/٣

(٨) ينظر الوقف الاسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٩٣

(٩) صحيح البخاري ١٠١٩/٣ - ١٠٢٠ ، صحيح مسلم بشرح النووي ٨٦/١١

٥ - عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل سبع حيطان له بالمدينة صدقة على بني عبد المطلب وبني هاشم ((١)).
وجه الدلالة من الحديث الشريف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وقف على أهله وذريته تلك الحيطان وهي بستين وحدائق وسميت بذلك لأنها تحاط بالأسوار ،
وفعله صلى الله عليه وسلم يدل على النذب .

٦ - روي عن شامة بن حزن القشيري ، قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال : انشركم الله والإسلام هل تعلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدّم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال : من يشترى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة ؟ فاشتريتها من صلب مالي^٢.

ثالثاً : الإجماع

أجمعت الأمة الإسلامية من زمن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا على مشروعية الوقف ، وقامت بتنفيذ الوقف عملياً بوقف العقارات والأراضي والآبار ، ووقف الأموال غير المنقولة كالأسلحة والكتب والمخطوطات والقبور والمرجل وان أوقاف الصحابة بمكة والمدينة المنورة والعراق والشام والمغرب وغيرها من بلاد العالم الإسلامي خير شاهد على ذلك ، روى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال ((ما بقي أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم له مقدره إلا وقف)) وفي رواية ((ذو مقدره))^٣.

وذلك للدلالة على العدد الكبير من الصحابة الذين وقفوا ممتلكاتهم ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه رجع في وقفه أو تصرف فيه ، ولم ينكره أحد منهم فكان إجماعاً ، وفيه دلالة على لزوم الوقف لأنه لو لم يكن لازماً لرجع بعضهم عن وقفه^٤.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله بهذا الشأن : ((راد الوقف مخالف للإجماع فلا يلتفت إليه))^٥

وما يزال المسلمون يتقربون الى الله تعالى ببناء المساجد والمدارس ودور الأيتام والمستشفيات وغيرها ، إلا أنه لوحظ في الآونة الأخيرة عزوف المسلمين عن التوجه للأوقاف ، والبحث عن بدائل أخرى من وجوه الخير والانفاق والتصديق . ويبدو لنا أن هذا العزوف سببه ضعف الإدارات القائمة على هذه الأوقاف وتحكمهم فيها ، والفساد المالي والإداري الذي طال المؤسسات الوقفية.

٣.٢ .المطلب الثالث : الأهداف العامة للوقف

للقف وظيفة مهمة تدعو الى التكافل الاجتماعي الذي يبدو واضحاً في الأهداف الدينية والاجتماعية والصحية والاقتصادية والعسكرية وغيرها .

١ - النواحي الدينية والعبادية

وتتمثل هذه النواحي ببناء المساجد ودور العبادة ، فالمساجد هي وقف لله تعالى ، وهناك اوقاف كثيرة وقفت على المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى والمسجد الأموي وغيرها ، وما تزال هذه الوقفيات قائمة لحد الان^٦.

٢ - النواحي التعليمية والثقافية :

توجد آلاف المدارس في العالم الإسلامي قد وقفت لتعليم العلوم الشرعية والعلوم الأخرى ، وتركز على الجوانب الاخلاقية والسلوكية ، ولرعاية الأيتام وتعليمهم ، وهناك دور للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، تركز هذه الدور على حفظ القرآن الكريم وتعليم القراءات القرآنية وأحكام التجويد ، وكذلك حفظ الحديث النبوي الشريف وإحياء السنة النبوية المطهرة ، وتدريب علم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل وتخريج الاحاديث والأسانيد^٧

٣ - النواحي الاجتماعية : وتتمثل بتقديم المساعدات للفقراء والمساكين والمحتاجين نقداً او عيناً ، كما تتمثل برعاية الأيتام وإقامة بيوت ومدارس خاصة بهم ، وتشمل هذه الرعاية الناحية المعاشية والناحية التعليمية ، وتوجد آلاف الوقفيات تنص على هذه الطبقة^٨.

٤ - النواحي الصحية : ويتمثل هذا ببناء المستشفيات والتي تسمى (البيمارستانات) عند بعض الناس ، ويعد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أول من بنى المستشفيات سنة ٨٩٩هـ-٧٠٧م ، وكان هذا المستشفى يضم أجنحة متعددة لمعالجة أمراض متعددة منها مرض الجذام والبرص ، وهناك أجنحة تعنى بمعالجة

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، ابو بكر محمد بن الحسين بن علي ، دار صادر بيروت ١٦٠/٦

(٢) جزء من حديث رواه البيهقي في سننه ، كتاب الوقف ، باب اتخاذ المسجد والسقايات وغيرها ١٦٨/٦

(٣) سنن البيهقي ١٦١/٦

(٤) الحاوي الكبير : ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ) ، ط:١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ٥١١/٧

(٥) تفسير القرطبي ١٣٢/٤

(٦) ينظر الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٨١

(٧) ينظر المرجع نفسه ص ٨٢

(٨) ينظر المرجع نفسه ص ٨٣

الامراض العقلية والنفسية، وجناح خاص بأمراض النساء وغيرها. وفي هذا المستشفى عدد من الأطباء والطبيبات والمرضى والمرضات يقومون بمعالجة المرضى، وينفق على هذه المستشفيات من الأموال الموقوفة لهذا الغرض^١.

وبنى احمد بن طولون أول بيمارستان كبير في مصر وكان فيه حمامان: أحدهما للرجال والآخر للنساء ووقف عليه الأوقاف والضياح، وكانت الأوقاف الإسلامية توفر المياه الصالحة للشرب، وتأمين الآليات للآبار والينابيع والإشراف على الحمامات العامة فضلاً عن الوقفيات التي تنص على إقامة المستشفيات والمصحات^٢.

٥ - النواحي العسكرية والجهادية: لقد وجدنا وقفيات كثيرة تخصص جزء من ريعها للمجاهدين وشراء الأسلحة والعتاد ومفاداة الأسرى وتخليصهم من أيدي الأعداء حتى أننا وجدنا أوقافاً كثيرة في بيت المقدس أوقفها القائد صلاح الدين الأيوبي تنص على هذه الفقرة^٣.

٦ - وقف خيرى لإطعام الطيور والحيوانات: لم تقتصر الأوقاف على العناية بالإنسان فحسب بل شملت الطيور والحيوانات بشراء الحبوب والأرز لها فيجوز الوقف على طيور الحمام في مكة المكرمة، وألحق به طيور الحمام في المدينة المنورة على اعتبار أن كلاً من مكة المكرمة والمدينة المنورة تمثل حرماً لا قتال فيه ولا صيد، فيكون وجود الحمام قائماً وثابتاً الى يوم الدين، ويجوز الوقف على الخيول والحيوانات التي بالتغور، أي بنية الجهاد، ولا يجوز الوقف على الحيوانات السائبة أو الطليقة، كما لا يجوز الوقف على الأسماك والحيوانات المائية، لأنه لا يعلم هل يصل الطعام لها أو لا؟ فيكون اهداراً للمال بالبحر^٤.

إن هذه الأوقاف تدل على عظمة ديننا الإسلامي الخالد الذي سبق العالم بالأعمال الخيرية التي يتبجح بها المتبجحون كالمجموعات الخيرية ومنها جمعيات الرفق بالحيوان، فالإسلام هو السياق في ذلك بل انهم أخذوا من المسلمين هذه الفكرة فعملوا فيها، واليوم اصبحنا بعيدين عن ممارسة هذه الأعمال الخيرية، وإن عملنا بها، فهي على نطاق ضعيف، وواضحنا نذكر تاريخاً عظيماً من المفارح العظيمة التي نذكرها لشعوب العالم، وعندما نأتي إلى الواقع فنحن بعيدين عن تاريخنا المجيد.

٣. المبحث الثاني: تاريخ الوقف وأقسامه ومميزاته

١.٣.١. المطلب الأول: تاريخ الوقف

إن مضمون الوقف كان موجوداً لدى الأمم والشعوب قديماً وحديثاً وإن اختلفت المسميات، وذلك لأن المعابد وأماكن العبادة من كنائس وبيع كانت قائمة مع وجود الإنسان، ولا بد أن يرصد لها عقارات وأراضٍ ينفق من غلاتها على احتياجات هذه الأماكن لترميمها وصيانتها وحمايتها. فضلاً عن رواتب العاملين فيها. ومن المعلوم بدهاء أن سيدنا ابراهيم عليه السلام كانت له أوقاف معروفة باسمه ولا تزال موجودة ومعروفة حتى هذا اليوم وذلك في مكة المكرمة وفي مدينة خليل الرحمن بفلسطين.

وإن أول ما عرف لدى العرب من ذلك قبل الإسلام (الكعبة المشرفة) وهي البيت العتيق الذي رفع قواعد سيدنا إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام، ليكون مثابة للناس وأمناً، ثم أصبح للعرب مصلى عام على اختلاف قبائلهم يجون إليه كل عام، ثم جعله العرب من بعدهم مقراً لأصنامهم بعد أن اعتقدوا بأن الأصنام تقربهم إلى الله زلفى، ومن مظاهر عباداتهم وعاداتهم الجبابية والسقاية، والرفادة والندوة واللواء، فإذا كانت الأحباس معروفة قبل الإسلام فإن من ضمن الفروق بينها وبين الحبس عند المسلمين هو أن أحباس الجاهلية موضوعة لغرض الفخر والمباهاة بخلاف أحباس المسلمين فإن الأصل فيها أن تكون تقريباً لله تعالى وتبرراً^٥.

أما الوقف في الإسلام فقد نشأ في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أول من وقف وهو القدوة لأصحابه فتأثر الصحابة به فأوقفوا ممتلكاتهم وعقاراتهم. وإن المتفق عليه لدى الفقهاء بأن الوقف نوع من أنواع الصدقات التي حث الشارع على فعلها، ويتقرب بها المسلم الى الله عز وجل وذلك لإنفاق ريع الوقف في وجوه البر والخير، سواء كان على الجهات العامة كالفقراء والمساكين والأيتام وأبناء السبيل وطلبة العلم أو على القرابة والأهل والذرية.

(١) ينظر المدخل في تاريخ الحضارة العربية للأستاذ ناجي معروف، ط: ١، مطبعة العاني بغداد ١٩٦٠ م ص ٣٢-٣٣، تاريخ الطب في الإسلام للدكتور خلقي خنفر، ط: ١، دار الحسن للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م ص ٢٨، ٤٩، التمريض في التاريخ الإسلامي: عكرمة سعيد صبري، ط: ١، دار الثقافة - رام الله - فلسطين ١٤٠٥هـ -

١٩٨٥م ص ٢٥-٣٠، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٨٤

(٢) ينظر: المدخل في تاريخ الحضارة العربية للأستاذ ناجي معروف ص ١٠٢، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٨٥

(٣) ينظر: المدخل في تاريخ الحضارة العربية للأستاذ ناجي معروف ص ٦٤، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٨٥

(٤) ينظر: الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٨٥-٨٦

(٥) ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك - ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٢١٠هـ)، دار المعارف - مصر ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م/٢٥٩، ٢٦٠، السيرة النبوية (سيرة ابن هشام) لابي محمد عبدالله بن هشام الشهير بابن هشام ت(٢١٨هـ). ط. ٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م/٨٠-٨٣ تاريخ العرب والمسلمين لمحمد حسين علي وعبدالرحيم مرعب المطبعة الوطنية ومكتبتها. عمان ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م ص ١٩-٢٠، احكام الوقف في الشريعة الإسلامية د. محمد عبيد

الكبيسي، بغداد - العراق مطبعة الارشاد بغداد ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ص ٧-٨

وهذا ما كان ذائعاً في العهد النبوي وما بعده الى يومنا هذا فإن جمهور الصحابة رضي الله عنهم وقبوا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بمعرفة وتشجيع منه وأحياناً بإقراره ، كوقف سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عثمان بن عفان والزبير وأبي طلحة وغيرهم رضي الله عنهم ، وكانت هذه الأوقاف تصرف في وجوه البر والخير التي يحددها الواقف ، ويديرها الواقف بنفسه أو من يراه مناسباً ليقوم برعايتها وإبصال الحقوق الى مستحقيها .
فهذا سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر في وقتيه أن ريعها ينفق على الفقراء والقريبى وفي سبيل الله والضيف وابن السبيل، ولا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقاً غير متمول فيه . وكذا فعل سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.^١
وكما وقف الصحابة على جهات البر عامة فإن عدداً منهم وقفها على ذريته كما فعل أبو طلحة رضي الله عنه حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ((اجعلها في قرابتك في حسان بن ثابت وأبي بن كعب))

وكان الاشراف على الوقف في بداية الأمر من قبل الواقف نفسه أو ممن ينيبه ويكلفه لإدارته وحين تطورت الأمور الادارية واتسع الوقف وأنشئت الدواوين في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن جاء بعده من الخلفاء أصبح للوقف ديوان تابع لديوان المالية^٢ .
وفي العهد الأموي اتسعت الأوقاف وظهرت دواوين جديدة لسد حاجات الدولة الجديدة بعد نموها وتطورها أكثر مما كانت عليه في العصر الراشدي ، فقد ولي قضاء مصر توبة بن نمر بن حومل الحضرمي وكان هذا في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك فقال ((ما أرى موضع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين ، فأرى أن أضع يدي عليها حفظاً لها من الثواء والتوارث)) ولم يمت توبة حتى صار للأقباس ((الأوقاف)) ديوان مستقل عن بقية الدواوين ، وتحت إشراف القاضي فقد أمر بتسجيل الأقباس في سجل خاص ليحامي مصالح المستحقين فيها ، ويعد هذا الديوان أول تنظيم للأوقاف ليس في مصر فحسب ، بل في الدول الإسلامية كافة فقد انشئ ديوان آخر للأوقاف في البصرة في عهد القاضي توبة .

ومن ذلك الوقت أصبحت الأوقاف تابعة للقضاء ، وصار من المتعارف عليه ان يتولى القضاة النظر في الأوقاف ، وذلك بحفظ أصولها وقبض ريعها وصرفه في الأوجه المنصوص عليها ، كما كان من صلاحية القضاة تعيين متولية للإشراف على الوقف ومحاسبتهم حين التهاون في حفظ أعيان الوقف وصيانتها^٣ .
أما في العهد العباسي فقد تطور تنظيم الدواوين واستفادوا من الإنجازات التي تمت في مجال الإدارة وتنظيم الدواوين في العهد الأموي ، واعتمدوا الدفاتر الثابتة في التسجيل والتدوين بدلاً من الصحف المتفرقة التي كانت في العهد الذي قبله ، وذلك للتوثيق ولحفظ الوقف من الضياع .
وتعددت الأهداف التي من أجلها أقيم ، فلم يعد الوقت قاصراً على الصرف إلى جهة الفقراء والمساكين ، بل تعدى ذلك إلى تأسيس دور للعلم والإنفاق على طلابها والقائمين على هذه الدور من معلمين وعاملين وإلى إقامة المكتبات وإنشاء الملاجيء وبيوت للمسلمين .
وتطورت الأمور الادارية في عهد الدولة العباسية ايضاً حتى أصبح من يدير الوقف رئيساً يسمى ((صدر الوقف)) أنيط به الإشراف على إدارتها وتعيين الأعوان لمساعدته على النظر فيها والعناية بها^٤ .

ولما تولى المماليك ومن جاء بعدهم من العثمانيين مقاليد السلطة اتسع نطاق الوقف ، وذلك لإقبال السلاطين والولاة في الدولة على الوقف وبخاصة بناء العقارات ودور الأيتام والمساجد والمآذن والمدارس وصارت للوقف تشكيلات إدارية متشعبة تقوم بالإشراف عليه، وصدرت قوانين وأنظمة متعددة لتنظيم شؤونه وبيان أنواعه وكيفية إدارته ، ولا زال الكثير من هذه الأنظمة والقوانين معمولاً بها إلى يومنا هذا ، فمن الأنظمة التي صدرت في العهد العثماني نظام ((إدارة الأوقاف)) الذي ينظم كيفية مسلك القيود وضبطها من قبل مديري الأوقاف كما يبين كيفية محاسبة مدير الأوقاف ، وكيفية الاستلام ، والتسليم بين المدير السابق والمدير اللاحق ، وروية محاسبات متولي الأوقاف ، وتعمير وإنشاء المباني ، وكيفية تحصيل ريع الأوقاف ومدخولاتها ، وغير ذلك من الأحكام الخاصة بتنظيم الأوقاف العامة والخاصة .

وهكذا تتابعت الأنظمة والقوانين المتعلقة بالوقف في اقطار العالم الإسلامي منذ العهد العثماني حتى يومنا هذا ، وأصبح للوقف وزارة خاصة به^٥

٢.٣ .المطلب الثاني : أقسام الوقف

ينقسم الوقف الى عدة أقسام وباعتبارات متعددة وعلى النحو الآتي :

أولاً : اقسام الوقف من حيث الغرض منه:

(١) ينظر : الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ١٧- ١٩

(٢) ينظر : المدخل في تاريخ الحضارة العربية للأستاذ ناجي معروف ص ٣٧ ، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية للدكتور محمد عبيد الكبيسي ص ٣٨ ، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ١٩

(٣) ينظر المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ٣٣ ، تاريخ العرب والمسلمين لمحمد حسين علي وعبد الرحيم مرعب ص ١٢١ ، أحكام الوقف للدكتور محمد عبيد الكبيسي ص

٣٨-٣٩ ، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٢٠

(٤) ينظر : المصادر نفسها

(٥) أحكام الوقف للدكتور محمد عبيد الكبيسي ١/ ٣٩-٤٠ ، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٢١-٢٢

ينقسم الوقف من حيث الغرض منه إلى وقف أهلي ووقف خيري :

١ - الوقف الاهلي : وهو أن يجعل استحقاق الربح للواقف ، ثم على أولاده ، أو على أولاد أولاده مباشرة ، ثم لجهة بر لا تنقطع وهذا الوقف له سند كما ذكرنا من وقف الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم ، ومنها وقف الخليفة عمر بن الخطاب ووقف الزبير بن العوام رضي الله عنهم ، فالزبير رضي الله عنه جعل دوره على أبنائه لا تباع ولا تورث ولا توهب^١.

٢ - الوقف الخيري : وهو الذي يقصد به الواقف التصدق على وجوه البر العامة ، كالمدارس والمساجد والمستشفيات والآبار وغيرها مما يؤدي الى تحقيق النفع العام^٢.

ثانيا : اقسام الوقف من حيث محله:

تنقسم الأوقاف باعتبار محلها إلى عقار ومنقول :

١ - العقار : اتفق الفقهاء على جواز وقف العقار من ارض ودور وحوائت وغيرها^٣.

٢ - المنقول : اتفق جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة على صحة وقف المنقول مطلقاً مثل السلاح والثياب والدواب ونحوها من المنقولات ، سواء أكانت تابعة للعقار أو مستقلة عنه^٤.

وذهب الحنفية الى عدم جواز وقف ما ينقل وما يحول كالثياب والحيوان وغيرها ، أما اذا كان مما يجري التعامل فيه كالقدم والفأس والسلاح والكراع والدرهم والدنانير أو كان المنقول تبعاً للعقار^٥.

وخالف أبو يوسف الحنفية في جواز المنقول إذا كان مما يجري فيه التعامل فقال بعدم جواز وقفه أيضاً^٦.

٣.٣.٣. المطلب الثالث: مميزات الوقف

يتميز الوقف عن أي مشروع خيري بخصائص ومميزات عديدة ، استمر أثرها في الأمة الإسلامية على مدى قرون طويلة ومن هذه المزايا ما يأتي :

إن الإسلام منح للواقف الحرية الكاملة في الكيفية التي يرغب بها في التصرف فيما يوقفه من أموال والشروط التي تحقق رغباته وتحقق أماله فيما يوقف وكل ذلك فيما هو في حدود الشرع^٧. وفق القاعدة الفقهية ((شروط الواقف كنصوص الشارع)) ما لم تخالف نصوص الشارع ، وإلا فهي كما يقول ابن القيم رحمه الله : ((ويجوز بل يترجح مخالفة شروط الواقف إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله وأنفع للواقف والموقوف عليه))^٨.

- دوام الأجر وعدم انقطاعه طالما بقيت العين الموقوفة إذا أحسن القائمون على الوقف إدارته واستثماره وفق ظروف كل عصر يمر عليه .

يتمتع نظام الوقف في أحكامه بمرونة تمكن الواقف من توقيت الوقف لوقت معين كما هو جائز عند المالكية . وفق ظروف عائلية معينة يعيشها الواقف تحتم عليه فعل هذا التوقيت في الوقف وعدم تأبيده . وبخاصة أن الذي ورد في السنة حول الوقف هو حكم إجمالي عام في أن يحبس أصل الموقوف وتسبل ثمرته كما في حديث عمر رضي الله عنه الذي ذكرناه في بداية البحث . أما تفاصيل أحكام الوقف المقررة في الفقه فهي اجتهادية قياسية للرأي فيها مجال ، غير أن الفقهاء أجمعوا فيها على شيء : هو أن الوقف يجب أن يكون قرية لله تعالى^٩

(١) ينظر فقه الوقف في الاسلام : الصديق محمد الضربير ، الندوة العالمية لتنمية وتطوير الاوقاف ، السودان ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م ص ٣

(٢) ينظر المرجع نفسه

(٣) حاشية رد المحتار على الدر المختار : محمد أمين عابدين بن عمر بن عابدين الشهير بابن عابدين ، ط: ٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م ٤/٣٦٤، شرح الخرشي على مختصر خليل ٧/٧٩، الحاوي الكبير للمارودي ٧/٥١٩، كشاف القناع على متن الإقناع ، منصور بن ادريس بن يونس البهوتي (١٠٥١هـ) ، ط: ١ ، المطبعة الشرقية - مصر ١٣١٩هـ-١٩٠١م ٤/٢٤١-٢٤٢

(٤) ينظر المصادر السابقة

(٥) ينظر : شرح فتح القدير : عبد الواحد بن الهمام الحنفي ، دار الفكر - بيروت ، ط: ٢ ٢١٦/٦ ، حاشية ابن عابدين ٤/٣٦٤

(٦) ينظر : المصدر نفسه

(٧) ينظر الوقف مفهومه مقاصده : عبد الوهاب ابو سليمان ، ضمن ابحاث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ١٤٢٠هـ ص ١٧ ، الآثار

الاجتماعية للأوقاف : عبد الله بن ناصر السدحان ، الرياض WWW.ISLAM WAY.COM ص ٨

(٨) اعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ، تحقيق عصام الدين الصباطي ، دار الحديث ، القاهرة ١٤١٤هـ ٣/٢٦٣

(٩) ينظر : أحكام الاوقاف : مصطفى الزرقا ، دار عمان ١٤١٨هـ ص ١٩ ، الآثار الاجتماعية للأوقاف ص ٨

٤. المبحث الثالث : الدور الإغاثي للوقف عبر التاريخ الإسلامي

لعب الوقف دوراً بارزاً في رعاية الناس عبر تاريخه الطويل . ومن أبرز مما اعتنى فيه الوقف المساجد ومنها مسجد قباء الذي بناه المسلمون عندما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة وبعدها الأوقاف التي أوقفت للمسجدين الشريفين المسجد الحرام والمسجد النبوي ثم بعدها المساجد الأخرى كالمسجد الأموي في دمشق وجامع الإمام الأعظم، والشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله تعالى في العراق، والأزهر في مصر والقرويين بالمغرب والزيوتونة بتونس وغيرها. ثم يأتي بعد المساجد بناء المدارس العلمية والتي بلغت الآلاف على امتداد العالم الإسلامي وكان لها الدور البارز في نشر العلم والمعرفة بين المسلمين.

وقد أدى توافق طلبه العلم من جميع انحاء العالم الى مراكز الحضارة الإسلامية والعواصم الإسلامية الى انشاء الخانات الوقفية التي تؤويهم الى جانب تهيئة الطرق ، وإقامة السقايات والأسبله في هذه الطرق للمسافرين ، وكذا دوابهم .

وصاحب ذلك ظهور المستشفيات في مختلف انحاء العلم الإسلامي ، فضلا عن انشاء الدور والأربطة للطلاب الغريباء لإيوائهم وتهيئة الجو المناسب لهم ، وأدى ذلك الى ظهور الوقف للصرف على هؤلاء الطلاب باعتبارهم من طلبة العلم المستحقين في دار الغربة.

إلا أن الدور الفاعل في مجال الإغاثة الاجتماعية يتمثل في المدارس والمحاضر والدور التي انشئت للأيتام وتوفير الأكل وأدوات المدارس ، كما يتمثل دور الوقف في مجال الرعاية الاجتماعية في الأربطة والزوايا وتوفير الطعام والشراب للمسافرين وعابري السبيل وجميع الناس داخل المدن وخارجها^١

١.٤. المطلب الأول : مؤسسة رعاية وإغاثة الأيتام

حرص المسلمون عبر التاريخ الطويل على رعاية الأيتام من خلال الأوقاف وذلك طمعاً في نيل الثواب والأجر الجزيل كما أخبر عنه الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بقوله ((أنا وكافل اليتيم كهذا وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما شيئاً))^٢ ولم تكن في البداية مؤسسات إيوائية كاملة لرعاية الأيتام كما في العصر الحديث ، بحيث ينشأ فيها اليتيم منذ صغره إلى أن يكبر ، وهذا يعود الى أمرين أساسيين: الأول : حرص الأسر المسلمة على رعاية يتيمها ، فالتكافل كان على أشده في تلك الأزمنة ولا توجد مشكلة تخلي الأسر عن رعاية أيتامها كما في هذا الوقت

الثاني : قلة عدد اللقطاء في ذلك المجتمع مقارنة بالعصور الحالية ، وهذا يعود الى الضبط الاخلاقي العام في المجتمع المسلم الأول ، فكل يتيم سيعيش في أسرته رغم وفاة والده أو لدى أسرة قريبة له ترعاه ، ومن هنا فلم يكن هناك ثمة حاجة إلى مثل هذه المؤسسات الإيوائية .

وقد يكون هناك أسباب أخرى ولكنها ليست رئيسية مثل : صعوبة الانفاق على المؤسسات الإيوائية لكثرة ما تحتاجه ، فانه يلزمها نفقات مادية أكثر ما يحتاجه غيرها مثل المدارس والمساجد والأسبله حيث يلزم توفير جميع الاحتياجات المعيشية والتعليمية ، والتأريخ يثبت أن أول المؤسسات الاجتماعية تضرراً من تناقص أغلال الأوقاف هي مكاتب الأيتام^٣

ومن أشهر الأوقاف لرعاية الأيتام إنشاء مكاتب لتعليمهم ورعايتهم ، ومن ذلك ما نقل في مآثر صلاح الدين الأيوبي أنه أمر بعمارة مكاتب أزمها معلمين لكتابة الله عز وجل يعلمون ابناء الفقراء والأيتام خاصة ويجري عليهم العطايا والنفقات الكافية لهم من مأكلا وملبس وأدوات للدراسة والتعليم^٤ .

ومن نماذج الوقف على الأيتام ما يأتي:

أ - دار الأيتام التنكزية

وقد اقام هذه الدار الأمير سيف الدين أبو سعيد تنكز بن عبد الله الناصري ٧٢٩هـ/١٣٢٨م وتعد هذه الدار مجمعاً علمياً ضمت مدرسة وخانقاه وداراً للقرآن الكريم وداراً للحديث الشريف وداراً للأيتام فضلاً عن المصلى ، وإن الذين يقومون بالتدريس في دار القرآن هم أنفسهم كانوا يدرسون الأيتام^٥

لذا اطلق ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) اسم مكتب الأيتام على دار القرآن المستنصرية^٦ على الموجود في الطابق الأول من الجهة الجنوبية للمدرسة ، وحتى تستمر الخدمات للأيتام فقد وقف القاضي أحمد جليبي سنة ٩٥٢ هـ / ١٥٤٥م أربعة دكاكين في باب السلسلة لصالح المدرسة^٧

ب - مكتب السبيل الذي انشأه السلطان الظاهر بيبرس:

(١) ينظر : المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية في (موسوعة الحضارة العربية الإسلامية) :تسعيد عاشور المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٧م ٣/٣٤٠

(٢) صحيح البخاري ٥/٢٠٣٢

(٣) ينظر : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨هـ-٩٢٣هـ) دراسة تاريخية ووثائقية ، محمد أمين ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٠م ص ٢٤٢ ، ٢٦٣

(٤) ينظر رحلة ابن جبير ، دار صادر بيروت بدون تأريخ ص ٢٧

(٥) ينظر: البداية والنهاية لعماد الدين ابو الغداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٧٤هـ /١٣٧٢م مطبعة السعادة مصر ١٣٥١هـ/١٩٣٢م ٢/١٢٩ ، الفصل في تاريخ القدس ،

عارف العارف ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م ، مطبعة العارف ط ١ القدس ١٣٨١هـ-١٩٦١م ١/٢٤٤ الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٤٩٠

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٢/١٢٩

(٧) ينظر الفصل في تاريخ القدس ١/ ٢٤٤ الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٤٩٠

الذي جعله بجوار مدرسته وقرر لمن فيه أيتام المسلمين الخبز في كل يوم ، فضلاً عن الكسوة في فصلي الشتاء والصيف^١

ج - دار الأيتام بالطشتمرية :

تعد دار الأيتام جزءاً من المدرسة الطشتمرية التي وقها الأمير سيف الدين طشتمر بن عبد الله العلائي حاكم الشام في عهد المماليك البحرية ، وكان انشاء المدرسة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م ، وتقع دار الأيتام الطشتمرية في البلدة القديمة من مدينة القدس ، ويدرس فيها مدرسون أكفاء ، وفي المدرسة قاعات خاصة تستخدم لمبيت الطلبة وموظفي المدرسة ، حيث جرت العادة في وقتها أن ينام الطلبة بالمدراس وتقدم لهم الخدمات اللازمة حسب شروط الواقف^٢

د - مكتب لتعليم الأيتام الذي أنشأه السلطان قلاوون:

والذي رتب لكل طفل بالمكتب عطاء في كل يوم ، وكسوة في الشتاء وأخرى في الصيف^٣

ومما سبق يمكن القول أنه في العصر المملوكي قلما يوجد أمير أو سلطان إلا وأوقف للأيتام مكتباً لتعليمهم والصراف عليهم ، حتى أن محمد أمين يقول : قلما تخلو وثيقة وقف خيري من تخصيص جزء من ريع ذلك الوقف لتعليم عدد من الأطفال الأيتام ، كما يؤكد انه قلما يوجد مسجد أو مدرسة وقفية في العصر المملوكي إلا ويوجد بجوارها مكتب لتعليم الأيتام^٤

و- مدرسة الأيتام الإسلامية بالقدس:

وقف سماحة الشيخ محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر جميع ممتلكاته في مدينة القدس من اجل دعم أية مؤسسة اسلامية تقوم بتحفيظ القرآن الكريم ولبناء عمارة للأيتام وتضمنت الوقفية أيضاً التبرع بمبلغ خمسمائة جنيه سنوياً إلى مدرسة أيتام للمسلمين بالقدس فقد ورد في نص الوقفية ما يأتي (وقفت جميع ذلك وفقاً صحيحاً شرعياً وحبسه حسباً صريحاً مرعياً مؤبداً لا ينمحي اسمه ولا يندرس رسمه.....يرصد وينفق في عمارة معهد للأيتام المسلمين مستوفي الشرائط الصرحية والعلمية والصناعية بالمقدار المناسب لحالة الأيتام) وقد تم تحرير الوقفية سنة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٧م ، هذا وإن مدرسة الأيتام الإسلامية الصناعية لا تزال قائمة^٥

ان كثرة المارستانات والمكاتب التي تعنى بالأيتام من المظاهر التي لفتت نظر الرحالة ابن جبير اليها حتى أنه عدها من المفخر التي تفخر بها البلاد الشرقية من العالم الإسلامي ، ثم ذكر بعض ما شاهده من أمور مرتبة لهؤلاء الأيتام^٦

ولم تتوقف رعاية الأيتام من خلال الأوقاف على تعليمهم وأكلهم وكسوتهم والمساعدات المادية لهم فقط ، بل حرص الواقفون على توفير المستلزمات التعليمية والدراسية كالمداد والأقلام والألواح والأشياء التي يجلسون عليها من حصر وفرش وغيرها ، بل انهم تدخلوا في كل تفاصيل المدارس والمكاتب من مناهج وطرائق التدريس والتأديب والتربية حتى انه جاء في إحدى الوقفيات ما يأتي : ((ويعلمهم أي الأيتام والأدب أولاً ثم ما يطبقون تعلمه من كتاب الله عز وجل والخط العربي ، وفي وثيقة أخرى ورد النص الآتي ((ويعلمهم الفقيه ما تيسر لكل منهم تعلمه من القرآن والخط والهجاء والاستخراج أسوة أمثالهم على العادة.....ويعلمهم المؤدب بالإحسان والتلطف فيها يرغبون به في الاشتغال ومن أتى منهم بما لا يليق أدبه بفعل ما أباحه الشرع الشريف ولا يضرب الضرب المبرح))^٧

ولقد بلغ من اهتمام الواقفين وحرصهم على تدخل في تحديد مواصفات خاصة بمن يقوم بالعملية التربوية والتعليمية والتأديبية ، منها أن يكون المؤدب من أهل الخير والدين والأمانة والإخلاص والعفة والصيانة ، وحافظاً لكتاب الله وعالمماً بالقرارات السبع وروايتها ، وأحكامها ، وأن يعامل الأيتام بالإحسان والتلطف والاستعفاف ، بل قد تكون الشروط شخصية تتعلق بشخص المؤدب كان يكون متزوجاً ومن ذلك فأورد في إحدى الوثائق الوقفية أن يكون ((رجلاً حافظاً لكتاب الله العزيز ، ذا عقل وعفة وصيانة وأمانة ، متزوجاً زوجة تعفه ، صالحاً لتعليم القرآن والخط والأدب))^٨

لقد تجاوز اعتناء الواقفون كل شيء حتى أنهم تدخلوا في تفاصيل مواعيد الدراسة وأيامها وعدد ساعاتها ، والمواد التي تدرس حسب الفئات العمرية ، والأيام التي يجلس فيها الأيتام للراحة ، ومن ذلك ما ورد في وثيقة السلطان (قايتباي) حيث ذكر فيها ((أن الأيتام يستمرون في أيام حضورهم بالمكتب من طلوع الشمس الى

(١) ينظر المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية : سعيد عاشور /ص٣٤٣

(٢) ينظر المفصل في تاريخ القدس ١/ ٢٥١ والمدرسة الطشتمرية دائرة الاوقاف الاسلامية ، د. يوسف المنتشه ، القدس - قسم الآثار الاسلامية ١٣٩٧هـ/

١٩٧٧م ص ١ ، الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٤٩١

(٣) ينظر : المؤسسات الاجتماعية في الحضارات العربية سعيد عاشور ص ٣٤٣

(٤) ينظر : الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر محمد امين ص ٢٦٢

(٥) ينظر : الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٤٩١

(٦) ينظر : رحلة ابن جبير ص ٢٤٠

(٧) ينظر : الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر لمحمد امين ص ٢٦٩

(٨) ينظر : الاوقاف والحياة الاجتماعية في مصر لمحمد امين ص ٢٦٥

وقت العصر فيصرفون حينئذ . وقبل انصرافهم يقرأون سورة الاخلاص والمعوذتين و فاتحة الكتاب والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعون ما عدا يوم الخميس من كل جمعة فأنهم يستمرون بالمكتب الى الظهر ويوم الجمعة بطالتهم - أي عطلتهم - وكذلك ايام الاعياد والمواسم والأعدار الشرعية على العادة))^١ ولم تتوقف الرعاية الشاملة لهم حتى عند غيابهم عن المكاتب وامتدت الرعاية حتى بعد انتهائهم من المكاتب وبلوغهم البلوغ الشرعي أو الانتهاء من حفظ القرآن الكريم ، حيث يقام لليتيم احتفال كبير يسمى ((الاصرفه)) فيركبون الصبي على فرس أو بغلة مزينة ويسير بين يديه بقية صبيان المكتب ينشدون طوال الطريق إلى أن يصلوه إلى بيته وهذا ما يقابل في الوقت الحاضر حفل التخرج الذي يقام في المدارس والجامعات ، ويتم صرف مبالغ مالية لليتيم ليستعين بها على معيشته بعد تركه ومغادرته المكتب ، وكذلك يتم صرف مبالغ مالية زائدة عن مرتبه لمؤدبه ومعلمه وذلك لجهوده مع اليتيم الذي تخرج من المكتب^٢ . ولم تتوقف دور ومكاتب الأيتام حتى الوقت الحالي فهناك دار للأيتام حالياً في المدينة المنورة انشأها حجاج القارة الهندية قبل ثمانين سنة تقريباً أي لأيتام المدينة المنورة حين كانت البلاد السعودية في بداية نشأتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ففي عام ١٣٥٢ هـ قام الشيخ عبد الغني دادا رحمه الله بتأسيس مكان يضم أيتام المدينة المنورة ويعلمهم فيه القرآن الكريم ويعلمهم حرفة يكتسبون منها وسماه ((دار أيتام الحرمين الشريفين)) وأوقف عليها داراً لها واستمر بالصرف عليها من غلة ذلك الوقف فضلاً عن المساعدات التي كانت تصله من الهند الى أيتام الدار، حتى انشئت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٠ هـ وتولت الاشراف الكامل عليها ، نظراً لتناقص غلة الوقف وانقطاع التبرعات لها ، ومازال مبناها الحالي وقفاً على أيتام المدينة المنورة وهذا مثبت في صك شرعي صادر من محكمة في المدينة المنورة عام ١٣٥٦ هـ^٣

٤.٢. - رعاية وإغاثة الفقراء والمساكين

إن شريحة الفقراء والمساكين في أي مجتمع من المجتمعات الانسانية تبقى قائمة ، قلت أو كثرت ، وبما أن الأوقاف هي صدقة جارية فقد قامت بدور كبير في مجال الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي لعدد كبير من أفراد المجتمع المسلم ، وذلك لأن مساهمة السلطة الحاكمة في مجال الرعاية الاجتماعية تعد محدودة مكتفية بتبرعات الموسورين وأرباب الأموال تجاه الفقراء ، لذا فإن الوقفيات تنص في مآلها على الفقراء والمساكين لأنه من شروط الوقف الديمومة والاستمرار ، فإذا انقضت الذرية أو انتفى الهدف الذي من أجله وقف الواقف فان النص على الفقراء والمساكين يضمن استمرار الوقفية ، وعليه فإن معظم الوقفيات تنص على هذه الشريحة من المجتمع والتي بحاجة الى الأخذ بيدها ومساعدتها ، ويعد هذا ركناً أساسياً في الوقف ، إلا أن المساعدات تكون بأشكال وأنواع مختلفة ، فمن ذلك توزيع المساعدات النقدية ، وأحياناً أخرى العينية كالأكل والملابس والأدوات المعيشية ولا سيما في أوقات الغلاء والأزمات المالية التي كانت تمر بها الأمة^٤

وسنذكر عدداً من الوقفيات التي نصت على الفقراء والمساكين

١- وقفية صلاح الدين الأيوبي :-

وقف صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وقيته الشهيرة ب ((وقفية الخانقاة الصلاحية)) وذلك سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م والتي تتضمن أهداف و شرائح وفئات متعددة من المجتمع فيهم الفقراء والمساكين فقد ورد في نص الوقفية ما يأتي (.....) فان تعذر وجدان هذه الطائفة - أي الصوفية - والعياد بالله تعالى يصرف ريع الأمكنة المذكورة على الفقراء والمساكين^٥

ولعل أطرف ما يرد هنا ما أوقفه صلاح الدين الأيوبي رحمه الله . عندما جعل ما يسمى وقف الميزاب ، حيث جعل في أحد ابواب قلعة دمشق ميزاباً يسيل منه الحليب ، وميزاباً يسيل منه الماء المذاب فيه السكر ، تأتي إليه الأمهات الفقيرات يومين من كل أسبوع ليأخذن لأطفالهن وأولادهن ما يحتاجونه من الحليب والسكر^٦

٢- وقفية الشيخ أبي عمر محمد بن احمد بن قدامة المقدسي رحمه الله في فلسطين في القرن السادس الهجري

حيث شملت أموراً كثيرة منها :- ((وقف للخبز يفرق فيها كل يوم ألف رغيف ... ووقف للأطعمة اليومية وهي أطعمة رتيبة ومنها الجريش في الشتاء..... وأضحية في العيد الكبير وحلوى في المواسم . رجب وشعبان . ووقف زبيب قضامة كل ليلة جمعة وحلويات اخرى في الليالي الفاضلة من رمضان ووقف على قصاص توزع كل سنة))^٧

(١) ينظر : المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية : سعيد عاشور ص ٣٤٥

(٢) ينظر : المرجع نفسه ص ٣٤٤

(٣) ينظر الآثار الاجتماعية للأوقاف ص ١٦

(٤) ينظر :- الوقف الاسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٤٩٢ ، الآثار الاجتماعية للأوقاف لعبد الله بن ناصر السدحان ص ٢٠

(٥) الوقف الاسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٤٩٢-٤٩٣

(٦) ينظر :- من روائع حضارتنا ، مصطفى السباعي الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ، الكويت ص ١٨١-١٨٢

(٧) الوقف والمجتمع يحيى محمود جنيد ص ٣٧

٣- وقف السلطان الظاهر بيبرس على الفقراء

تقد أوقف السلطان الظاهر بيبرس وقفا لشراء الخبز وتوزيعه على المعدمين ، بل تجاوز الأمر إلى رعاية أولئك الفقراء حتى بعد وفاتهم ويكون ذلك بتحمل تكاليف تغسيلهم وتكفينهم ودفنهم ، ومن أشهر هذه الأوقاف (وقف الطرحاء) الذي جعله الظاهر بيبرس برسم تغسيل فقراء المساكين وتكفينهم ودفنهم^١

٤- وقف التنكزية :-

وقف الامير سيف الدين أبو سعيد تنكزية عبد الله الناصري على مدرسته وفتيات كثيرة وكان هذا سنة ٧٢٩هـ / ٣٢٨م والمدرسة عبارة عن مجمع ثقافي اجتماعي وفي الوقفية تخصيص رباط للنساء متكامل الخدمات التعليمية والاجتماعية بما في ذلك مساعدة النساء المحتاجات وجاء في نص الوقفية ما نصه ((وإلى كل واحدة من الفقيرات العجائز العشرة في كل شهر من الشهر سبعة دراهم ونصف درهم ، وفي كل يوم من الأيام ثلث رطل من الخبز ، وإلى كل واحدة من الفقيرات الواردات الى الرباط المذكور عشرة أيام من حين ورودها في كل يوم منها ربع درهم على عشر من الواردات الى الرباط المذكور من غير زيادة عددهن ويقدم الواردات الفقيرات الغريبات على الفقيرات من أهل القدس))^٢

٥- وقف خاصكي سلطان :

وقفت خاصكي سلطان ممتلكاتها على تكيته في مدينة القدس وذلك سنة ٩٦٤هـ / ١٥٥٦م ، وتشمل هذه الوقفية عدة اهداف اجتماعية وإنسانية بما في ذلك فئة الفقراء والمساكين ، وقد ورد في نص الوقفية ما يأتي ((..... ووقفتها على فرقة الفقراء والمساكين وزمرة الضعفاء والمحتاجين))^٣ ومن وجوه البر التي اهتم بها الواقفون بالصرف عليها من ريع اوقافهم كسوة العرايا والمقلين وستر عورات الضعفاء والعاجزين وإرضاع الاطفال عند فقد امهاتهم او عجزهم عن إرضاعهم ووفاء دين المدينين، وفكك المسجونين المعسرين، وفك اسرى المسلمين العاجزين، وتجهيز من لم يؤد الحج من الفقراء لقضاء فرضه، ومداواة المرضى غير المقتدرين^٤ و يوجد ايضا اوقاف خيرية تتفق على اسر السجناء وأولادهم حيث يقدم لهم الغذاء والكساء وكل ما يحتاجونه لحين خروج معيهم من السجن، كما وجدت مؤسسات ووقفية لتجهيز البنات الى ازواجهن ممن تضيق ايديهم او ايدي اولياتهم عن نفقات تجهيزهن^٥

٤.٣.٤. المطب الثالث: رعاية وإغاثة الغرباء والمسنين

لقد أدت الأوقاف دوراً مهماً في تحقيق الرعاية الاجتماعية للغرباء المسنين والعجزة بشكل عام، فما من مدرسة ينشئونها الواقفون إلا و يوضع بجوارها بيت خاص للطلاب المغتربين و يجري عليهم في ما يحتاجونه من غذاء^٦ لذا لا عجب أن نجد تلك الحركة البشرية المتواصلة بين المدن و القرى في العالم الإسلامي طلباً للعلم في المدارس الوقفية، فلا يوجد ما يعوق طلب العلم، فالطرق قد أمنت بالأسئلة الوقفية، و المدارس قد تم تجهيزها بالغرف الخاصة بالغرباء ، وقد تزايدت تلك الظاهرة بشكل ملفت للنظر^٧ وقد خصص صلاح الدين الأيوبي رحمه الله جامع بن طولون في مصر - داراً للغرباء للمغاربة يسكنونه و أجرى عليهم الارزاق في كل شهر و في دمشق خصص السلطان نور الدين زنكي رحمه الله للمغاربة الغريباء زاوية المالكية بالجامع الأموي و أوقف على ذلك اوقافاً^٨ أما الربط و هي الأماكن التي تم إعدادها على الثغور للمجاهدين و صد هجمات الأعداء فقد تحولت مع الوقت هي و الخانات النكايا و الزوايا الى اماكن للمتفرغين للعبادة من الجنسين و ان كانت للذكور و أكثر فكان ينقطع فيها من يرغب التفرغ للعبادة، و يجري عليهم الواقفون العطاءات اليومية من غذاء وكساء، و هذا النوع من الأوقاف ينتشر بشكل كبير جدا في مدن وقرى العالم الإسلامي ومع مرور الوقت اصبحت دوراً للضيافة تستضيف المغتربين القادمين من كل انحاء العالم الإسلامي بحيث لا تزيد اقامة الضيف الوافد عن ثلاثة أيام . يلقي خلالها فيها كل ترحاب من أهل الرباط ويقدم له الطعام وغيره من مستلزمات الضيافة^٩

(١) ينظر المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية ، سعيد عاشور ص٣٤٢-٣٤٦

(٢) الوقف الاسلامي بين النظرية والتطبيق ص٤٩٣-٣٩٤

(٣) الوقف بين النظرية والتطبيق ص ٤٩٣ .

(٤) ينظر الاوقاف و الحياة الاجتماعية لمحمد امين ص١٣٤-١٣٥ .

(٥) ينظر : اوقاف السلطان الاشرف شعبان على ، راشد سعد القطحاني، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٤هـ، ص١٠٧ .

(٦) ينظر الاوقاف و الحياة الاجتماعية لمحمد امين ص٢٥٣ .

(٧) ينظر الاثار الاجتماعية للأوقاف: عبدالله بن ناصر السدحان ص١٧ .

(٨) ينظر المرجع نفسه

(٩) ينظر :- المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية الاسلامية لسعيد عاشور ، ص٣٦٧، الاثار الاجتماعية للأوقاف لعبد الله بن ناصر السدحان ص١٨

ومن أشهر الأوقاف التي أوقفها صلاح الدين الأيوبي الخانقاة الصلاحية التي أوقفت للزاهدين والعابدين ابواء وتجمعاً لمجالسهم في ٥٨٥ هـ ، ووقف عليها السلطان طاحوناً وفرنناً وحمامات وحوانيت مجاورة وبركة ماء وقطعتي أرض مجاورتين وصهرجين ، وتضم الخانقاة مسجداً وغرفاً للسكن ومرافق عامة ، وعين للوقفية ناظراً^١

ومن المعلوم أن المنتميين إلى الصوفية هم أكثر من استفاد من هذا النوع من الأوقاف في العصور الماضية . وكان لها دور كبير في اتساع نطاق الصوفية وانتشارها في كثير من بلدان العالم الإسلامي^٢

ومع تطور الوقت تحولت بعض هذه الأربطة ملاجئ مستديمة لفريق من الناس الذين يستحقون الرعاية ولاسيما أصحاب العاهات وكبار السن والعميان والمطلقات^٣ وكان لهم رسوم في توزيع المال والطعام ويذكر المقرئ عن رباط (بيبرس الجاشنكير) انه مخصص لمائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت كما أن السيدة (تذكار خاتون) شيدت رباط البغدادية سنة (٦٨٤ هـ) وأنزلت فيه مجموعة من النساء الخيرات ولهن شيخة تعظ النساء وتكرهن وتقهن ، وتطور الأمر بالرباط حتى أصبح يودع فيه النساء اللاتي تطلقن أو هجرهن أزواجهن حتى يتزوجن ، وظل هذا الرباط قائماً حتى القرن التاسع الهجري^٤ وهذا التحول التدريجي للرباط أدى الى تحقيق رسالة اجتماعية ، وذلك أنها عدت مأوى للغرباء والعجزة وضعفاء المجتمع ، وجميع هذه المنشآت وجدت في نظام الوقف أكبر رافد مكنها من مواصلة رسالتها^٥

وما زالت بعض هذه الأربطة تؤدي هذه الرسالة على امتداد المدن والقرى في العالم الإسلامي وهذا مما يشاهد في مكة المكرمة والمدنية المنورة . حيث أصبحت مأوى للعديد من العجزة والمرضى ، والمعاقين والغرباء وكبار السن وأحياناً العاطلين وهذا ما أظهرته الدراسة التي قامت بها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٤١٩ هـ عن الأربطة في منطقة مكة المكرمة (مكة المكرمة وجدة والطائف) والمدنية المنورة وشملت الدراسة قرابة سبعين رباطاً في المنطقتين^٦

المطلب الرابع :- رعاية المرضى وإنشاء المستشفيات

تعد المستشفيات (البيمارستانات) من الظواهر البارزة في تاريخ الحضارة الإسلامية في القرون الماضية ومن المعلوم أن أساس نشأت الأوقاف بداية وتطويراً وتعليماً للعاملين فيها ، وبرزت أسماء عديدة في هذا المجال ، مثل : البيمارستان العضدي ببغداد والبيمارستان النوري في دمشق ، والبيمارستان المنصوري في القاهرة ، وبيمارستان مراکش ، والبيمارستان المقتدي^٧ وسأذكر أهم المستشفيات التي اوقفها السلاطين عبر التاريخ :

١- أنشأ صلاح الدين الأيوبي بيمارستاناً للمرضى -أي مستشفى- وهو عبارة عن كنيسة مجاورة لدار الاستيشار ووقف عليها مواضع وزوده بالأدوية والعقاقير ، حيث علم الطب يدرس فيه الى جانب ممارسته عملياً ، وأوقف اربعين بيتاً وفرنناً في محلة القطنين وقبوا وطاحوناً وثلاثة عشر دكاناً في سوق الزيت واثنين وعشرين حانوتاً في سوق الزيت وستة مخازن وصهرجياً كبيراً وستة عشر قيراطاً من مزرعة حارة الأفرنج ، وغرس زيتون يعرف بالتربة وحكر خان الزيت مع حكر قبان الزيت ، وقطعة أرض (المصرة) ظاهر القدس منها ستة عشر قيراطاً حصه وقف البيمارستان^٨

وكان الأطباء في هذا المستشفى يعالجون الجرحى والمرضى من الجنود والمواطنين مجاناً ، ويوزعون العقاقير عليهم مجاناً أو من الأطباء الذين عملوا في المستشفى الصلاحي أبو الفضل رشيد الدين بن علي الصوري الطبيب المشهور الذي أصبح طبيباً للملك العظيم ، واستمر هذا المستشفى يؤدي خدماته إلى ما بعد ١١١٦ هـ / ١٧٥٣ م^٩

٢- مستشفى ابن طولون في مصر : أنشأ هذا المستشفى السلطان أحمد بن طولون بالفسطاط سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م ، ويعد هذا المستشفى أول مستشفى في مصر ، وكان يضم مكتبة علمية وخزانة للأدوية وفيه حمامان : حمام خاص بالرجال ، وآخر خاص بالنساء ، فإذا جاء المريض فإنه تنزع ملابسه وتحفظ لدى أمين البيمارستان ويستحم المريض ثم يلبس ملابس جديدة من المستشفى (البيمارستان) وهذا يدل على الرقي الذي وصل إليه المسلمون في ذلك الوقت ، وبعدها

(١) ينظر أوقاف بيت المقدس وأثرها في التنمية الاقتصادية مروان ابو الربع ، الدار العثمانية ، الاردن ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م ص ٧٩-٨٠

(٢) ينظر :- الآثار الاجتماعية للأوقاف عبد الله بن ناصر السدحان ص ١٨

(٣) ينظر :- الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر لمحمد أمين ص ٢٠٦

(٤) ينظر :- المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية لسعيد عاشور ص ٣٦٨

(٥) ينظر الآثار الاجتماعية للأوقاف لعبد الله بن ناصر السدحان ص ١٨

(٦) ينظر :- المرجع نفسه ص ١٩

(٧) ينظر :- الآثار الاجتماعية للأوقاف لعبد الله بن ناصر السدحان ص ٢٢

(٨) ينظر :- أوقاف بيت المقدس وأثرها في التنمية الاقتصادية لمروان أبو الربع ص ٧٩-٨٠

(٩) الوقف الإسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٤٨٦

يقدم له الأدوية والأغذية وكان أحمد بن طولون قد وقف على هذا المستشفى أوقافاً كثيرة، وكان حريصاً على المرضى ويقوم بتقعد المرضى للاطمئنان على سلامتهم وراحتهم كل يوم جمعة كما يتقعد خزائن المستشفى للأدوية و العلاجات والملابس والأطعمة^١

٣- المستشفى العسدي في بغداد : أنشأ هذا المستشفى عضد الدولة البويهري في بغداد سنة ٣٦٦هـ / ١٩٧٦م ، وتم إنشاء هذا المستشفى باستشارة الطبيب الشهير الرازي الذي طلب منه عضد الدولة أن يختار له مكاناً لبناء مستشفى يحمل اسمه ، فطلب الرازي أن يعلق في كل ناحية من نواحي بغداد قطعة من اللحم ، واعتبر الموقع الذي لا يفسد فيه قطعة اللحم هو الموقع المناسب صحياً لإقامة المستشفى عليه ، وكان ذلك في الجانب الغربي من مدينة بغداد وكان المستشفى يضم اربعاً وعشرين طبيباً للدلالة على اتساعه وتعدد تخصصاته ، وكانت المياه المسحوبة من نهر دجلة تجري في كل قسم من أقسام المستشفى ، وقد أوقف عضد الدولة لهذا المستشفى عدة أوقاف ، وكان العلاج مجاناً لجميع المواطنين ، وكان المريض يلقي العناية اللازمة في المستشفى من الثياب النظيفة والأغذية المتنوعة والأدوية اللازمة ، بل وصل الأمر أن المريض بعد شفائه يعطى نفقات سفره ليتمكن من العودة إلى بلده^٢

٤- المستشفى النوري في دمشق : أنشأ هذا المستشفى نور الدين زنكي في دمشق ٥٤٩هـ / ١١٥٤م وعرف هذا المستشفى بالمستشفى النوري ، كما أنشأ نور الدين مستشفيات أخرى في البلاد ، إلا أن هذا المستشفى هو الأكبر والأعظم من بينها ، وكان عدداً من الأطباء المتواجدين فيه أكثر من عشرين طبيباً ، وقد أوقفت هذا المستشفى على الفقراء والمساكين ولا يمنع منه الأغنياء في حالة عدم وجود أدوية إلا في هذا المستشفى . جاء في صك الأوقاف التي حبس ريعها لصالح المستشفى النوري أن كل مجنون يخصص له خادمان فينزعان منه ثيابه كل صباح ويحمانه بالماء ثم يلبسانه ثياباً نظيفة ويسمعانه قراءة القرآن الكريم بصوت حسن ، ثم يفسحانه في الهواء الطلق ، ويسمح له الإستماع إلى الأصوات الجميلة والنغمات الموسيقية .

وظل هذا المستشفى عامراً ويؤدي خدماته حتى سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م حيث قامت بلدية دمشق بإنشاء المستشفى الحميدي في الجانب الغربي من تكية السلطان سليمان المطلية على المربع الأخضر بدمشق^٣ ، وجمعت له إعنات من الناس ، وأخذ مبلغ من واردات البلدية ومن ريع أوقاف المستشفى النوري ، لإتمام بناء المستشفى واحتفل بافتتاح المستشفى الجديد سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ، ثم خصصت أوقاف المستشفى النوري لهذا المستشفى (أي المستشفى الحميدي) ثم غير اسمه بمستشفى الغرباء ، وبعد الحرب العالمية الأولى سمي بالمستشفى الوطني وأقيمت مدرسة الطب بجانبه^٤ .

كما طالبت يد الرعاية الاجتماعية لهذه المستشفيات الفقراء في منازلهم ، فقد نص السلطان قلاوون في كتاب وقفه المستشفى الذي أنشأه على ان تمتد الرعاية الصحية الى الفقراء العاجزين ويصرف لهم ما يحتاجون من أدوية وأغذية ، وقد بلغ عدد هذا الصنف من المرضى الذين يزورهم الأطباء في بيوتهم في فترة من الفترات أكثر من مائتي فقير^٥

ومن الأوار الاجتماعية التي كانت تؤديها بعض المستشفيات لرعاية المرضى بعد خروجه منها ، فيعطي مبالغ نقدية للعيش منها فضلاً عن إعطائه كسوة وهذا كان معمولاً به في المستشفى المنصوري عن طريق تهيئة الأكلان ومراسيم الدفن وغيرها فقد نصت وثيقة الوقف على أن ((يصرف الناظر ما تدعو اليه من تكفين من يموت من المرضى والمختلين من الرجال والنساء فيصرف ما يحتاج اليه برسم غسله ، وثمان كفته وحنوطه وأجرة غاسله ، وحافر قبره ومواراته في قبره ، على السنة النبوية والحالة المرضية))^٦

ويذكر الدكتور مصطفى السباعي أن من غريب ما اطلع عليه في مجال الرعاية الصحية والنفسية للمريض أنه وجد وفقاً مخصصاً ريعه لتوظيف اثنين يمران بالمارستان يوماً فيتحدثان بالقرب من المريض حديثاً خافتاً لئيمعه المريض عن احمرار وجهه وبريق عينيه بما يوحي له بتحسن حالته الصحية^٧ لقد وصل الوعي الصحي إلى أوج عظمته في العصور الاسلامية فقد بلغ الأمر أن الواقفين قد نصوا على أن اصحاب الوظائف الذين يعملون في المدارس التي أوقفها حين أصابهم بأمراض خطيرة أو معدية فأنهم يجري عليهم رزقهم طوال فترة عزلهم عن الطلاب حتى يشفوا أو يتوفاهم الله^٨ .

(١) ينظر : تاريخ العرب والمسلمين لمحمد حسين علي ، عبد الرحيم مرعب ص ١٨٨ ، تاريخ الطب في الاسلام د. خلقي خنفر ، ط١ دار الحسن للطباعة والنشر الخليل ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ص ٤٥-٥٥ ، الوقف الاسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٤٨٤

(٢) ينظر : تاريخ العرب المسلمين ص ١٩٦ ، تاريخ الطب في الاسلام ص ٤٧-٤٨ ، المدخل في تاريخ الحضارة العربية ص ١٠٢ ، الوقف الاسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٤٨٤-٤٨٥

(٣) ينظر : تاريخ الطب في الاسلام ص ٥٣-٥٤ ، الوقف الاسلامي بين النظرية والتطبيق ص ٤٨٥

(٤) ينظر : المرجع نفسه ص ٤٨٥

(٥) ينظر : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر : محمد أمين ص ١٦٩

(٦) المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية ، سعيد عاشور ص ٣٤٢ ، ص ٣٤٩-٣٥٣

(٧) ينظر : من روائع حضارتنا ، مصطفى السباعي ص ٢٠٧

(٨) ينظر : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر لمحمد أمين ص ١٧٧

وهذا يمثل نظاماً للضمان الاجتماعي، وقد يعد أساساً لنظام التأمينات الاجتماعية أو نظام التقاعد في وقتنا المعاصر، كما أنه يمثل قمة الإحساس بمتطلبات الرعاية الاجتماعية لأفراد المجتمع، وتلمس حقيقي لمواطن الاحتياج لديهم^١.

المبحث الرابع : الآثار الاجتماعية المترتبة على الوقف

لقد برز دور كبير للوقف في تعزيز الحياة الاجتماعية ورسخها على مدى القرون الماضية ومن هذه الآثار ما يأتي :

١- اشاع الوقف لروح التضامن والتراحم والتواد بين أفراد المجتمع وحماه من الأمراض الاجتماعية التي تنشأ عادة في المجتمعات التي تظهر فيه الصراعات الطبقيّة بين المستويات الاجتماعية المختلفة حتى أنّ هناك دولاً متقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية وهي غير مسلمة بدأت تتوسع في ظاهرة العمل الخيري وتشجيع الشركات والأثرياء وتعطيهم إعفاءات كبيرة لمن يقدم منهم على الأعمال الخيرية وهذا أدى الى زيادة المؤسسات الخيرية وتضاعف الهبات حتى بلغت مئات الملايين في وقت مبكر من هذا القرن^٢.

٢- إنّ للوقف دوراً كبيراً في توزيع الثروات وعدم حبسها وتجمعها بأيادي محدودة وهذا مما يجعلها أكثر تداولاً بين الناس لأنّ الواقف عندما يوصي بتوزيع غلات الوقف على جهة من الجهات، فهذا يعني توزيع الأموال على جهات متعددة ولا يتأثر المالك بها^٣.

٣- تعزيز وتقوية أواصر المحبة والانتماء بين أفراد المجتمع وكأنهم جسد واحد، تحقيقاً لقبول الرسول صلى الله عليه وسلم ((ترى المؤمنين في توادهم وتعاظفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))^٤

وهذا الشعور بالانتماء يشمل الطرفين الواقف والمستفيد من الوقف، فالواقف استشعر دوره المناط به من أمواله لسد حاجة المجتمع، والمستفيد من الوقف يستشعر بعين التقدير مدى حاجته للانتماء لجسد المجتمع الواحد الذي قام اغنياؤه بإسعاد قرائه من خلال نظام الوقف^٥.

٣- يؤدي الوقف الى تحقيق العدالة في المجتمع عن طريق المساواة بين أفرادها، فالفقير يكون حاله كحال الغني في الحصول على المتطلبات الأساسية في الحياة كالتعليم والعلاج والمأكل والملبس وهذا كله يحصل عليه عن طريق الأوقاف. بل ان بعض الأوقاف كان يخصص ربعها للفقراء دون الاغنياء^٦

ويشير بعض الباحثين الى أنّ ((الآلاف الكبيرة من المجتمع من العلماء المبرزين في مختلف التخصصات كانوا من فئات اجتماعية واقتصادية راقية الحال))^٧

٤- استطاعت الأوقاف أن تقضي على ظاهرة التقكك الأسري في المجتمع، وتعزز الجانب الاخلاقي والسلوكي في المجتمع عن طريق القضاء على مصادر الانحراف في النساء اللاتي لا يوجد لهن أهل أو أقرباء، فهذه الأوقاف صيانة لهن عن الوقوع في حبال الرذيلة والانحراف، فضلاً عن الاهتمام الذي يلاقينه في

التمسك بالعبادة ودراسة القرآن الكريم في هذه الأوقاف وكذلك الاهتمام بهن عن طريق الانفاق عليهن من الأزواق^٨

٥- لعبت الأوقاف دوراً كبيراً في التلاحق الفكري والمعرفي بين كل دول العالم الاسلامي، فأهل المشرق يذهبون الى المغرب لطلب العلم والمعرفة وبالعكس، وهؤلاء الطلبة قد وجدوا كل شيء مهيناً لهم عن طريق المدارس والمساجد المخصصة لطلب العلم وهي عبارة عن أوقاف أوقفها الواقفون على طلب العلم.

وقد فتحت ظاهرة بناء المدارس والربط والزوايا الموقوفة في القاهرة نظر العلامة ابن خلدون فذكر في مقدمته الوضع الاجتماعي في مصر أيام صلاح الدين الايوبي بقوله ((فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الأوقاف المغلة فكثرت الأوقاف وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه

بكثره جرابتهم منها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها))^٩

كما أدى ذلك الى الترابط بين الحضر والبادية وبين المدن والقرى، فالأفراد ينتقلون من مكان الى آخر، فأبن البادية والقرية يأتي الى المدينة ويمكث فيها الوقت المطلوب طلباً للعلم أو لأغراض أخرى وهذا تحقيق بوجود المدارس الوقفية والبيوت الموقوفة لرعاية الغرباء، وإحياء طرق السفر بالخانات والاسبله وكل هذا أدى الى تحقيق تنمية اجتماعية شاملة في أرجاء البلد الواحد^{١٠}

(١) ينظر : الآثار الاجتماعية للأوقاف لعبد الله بن ناصر السدحان ص ٢٣

(٢) ينظر : الآثار الاجتماعية للأوقاف لعبد الله بن ناصر السدحان ص ٢٥

(٣) ينظر : الضمان الاجتماعي في الاسلام ، ابراهيم فاضل الدبو ، مطبعة الرشاد ، بغداد ١٤٠٨ هـ ص ٩٠، الآثار الاجتماعية للأوقاف لعبد الله بن ناصر السدحان ص ٢٥

(٤) اخرج البخاري ٥ / ٢٢٣٨

(٥) ينظر : الآثار الاجتماعية للأوقاف ص ٢٥

(٦) ينظر : الآثار الاجتماعية للأوقاف ص ٢٤

(٧) أثر الوقف في انجاز التنمية الشاملة ، شوقي احمد دنيا ، مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، الرياض السنة السادسة عشر ١٤١٥ هـ ، ص ١٣٦

(٨) ينظر : المؤسسات الاجتماعية في الحضارة العربية ، سعيد عاشور ص ٣٦٨

(٩) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، تحقيق حجر عاصي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٦ م ص ٢٧٦

(١٠) ينظر : الآثار الاجتماعية للأوقاف ص ٢٦

٦- أدى نظام الوقف والرعاية الاجتماعية الى تمكين اناس كثيرين من تحسين مستوياتهم العلمية والثقافية والاقتصادية، فبدأوا بدراسة علم الطب ليكونوا أطباء وبالتالي تتحسن مواقعهم بين أبناء المجتمع مالياً واجتماعياً، وكذلك فإنّ منهم من درس دراسة موسعة وانتقل بين أرجاء العالم الإسلامي وأصبحت له شهرة واسعة أهله لأن يكون قاضياً أو مفتياً، وهذا كله بفضل الله تعالى ثم بفضل الأوقاف التي ساعدته على ذلك^(١)

٥. الخاتمة والتوصيات

أولاً : الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة في هذا البحث المتواضع ((الوقف الإسلامي وأثره في الرعاية الاجتماعية)) فأنا سجلنا بعض النتائج التي توصلنا إليها وهي على النحو الآتي :-

- ١- انّ الوقف الاسلامي يمثل مؤسسة دينية اجتماعية اقتصادية وقد نشأ منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه هو أول من أوقف في سبيل الله ويعدها تبعه الصحابة والتابعون والى يومنا هذا .
- ٢- قام الوقف الاسلامي بدور كبير عبر التاريخ الاسلامي فقد كان الرافد الاساسي لبيت المال ،تصرف غلاته وثمراته على جهات البر والخير المختلفة من صحة وتعليم ومساجد وغيرها ،إلا إنه تراجع وأصبح ضعيفاً ،وأرى أنّ سبب ذلك هو إهمال القائمين على الأوقاف وفساد ذمهم وكذلك التدخل في إدارة الأوقاف من خارج المؤسسات الوقفية ، وقلة الوعي لدى الناس في التعامل .
- ٣- للوقف وظيفة مهمة تدعو الى التكافل الاجتماعي الذي يبدو واضحاً في الاهداف الدينية والتعليمية والاجتماعية والصحية والاقتصادية وغيرها .
- ٤- نجح الوقف الاسلامي في انقاذ الفقراء والمساكين من التشرد والضياع ،وإعادتهم الى صف المجتمع الاسلامي يعيشون بينهم لا فرق بينهم وبين الاخرين وذلك ببناء دور الأيتام وبناء المدارس لهم والتكفل برعايتهم .
- ٥- سبقت الشريعة الاسلامية القوانين الوضعية في الاعمال الخيرية المنظمة والتي منها الوقف .
- ٦- لم تقتصر الأوقاف في الاسلام على الانسان فقط بل ذهب الى ابعد من هذا حتى أجاز الفقراء جواز الوقف على الطيور والحيوانات وبهذا فإن الاسلام هو الاسبق في هذا العمل من الجمعيات التي تعنى بالحيوان .
- ٧- إنّ عدم الاستفادة من الوقف في الوقت الحالي عائد الى كون الاوقاف تسيرها الانظمة الروتينية المقيدة في كثير من الأحيان بل انّ من معوقات الاستفادة من الأوقاف في مجال الرعاية الاجتماعية في العصر الحالي قد يكون من الواقين أنفسهم وذلك بجعل مصارف الوقف في أشياء قد تكون الحاجة الحقيقية للمجتمع في وقتنا الحاضر قد تجاوزتها .
- ٨- يؤثر الوقف في توزيع الثروات وعدم تجمعها وحبسها بأيادي محدودة وهذا مما يجعلها أكثر تداولاً بين الناس لأنّ الواقف عندما يوصي بتوزيع غلات الوقف على جهة من الجهات ،فهذا يعني توزيع الأموال على جهات متعددة ولا يستأثر المالك بها .
- ٩- يؤدي الوقف الى تقوية أواصر المحبة والانتماء بين أفراد المجتمع وكأنهم جسد واحد ،وهذا الشعور بالانتماء يجسده الطرفان الواقف والمستفيد من الوقف ،فالواقف يستشعر بدوره في المجتمع فقدم وخصص جزءاً من أمواله لسد حاجة المجتمع ،والمستفيد من الوقف يستشعر بعين التقدير مدى حاجته للانتماء لجسد المجتمع الواحد الذي قام أغنياؤه بإسعاد فقرائه من خلال نظام الوقف .
- ١٠- يؤدي الوقف إلى تحقيق العدالة بين أبناء المجتمع عن طريق المساواة بين أفرادهم ،فالفقير يكون حاله كحال الغني في الحصول على المتطلبات الإنسانية من تعليم وعلاج ومأكل وملبس وهذا كله يحصل عليه عن طريق الأوقاف .
- ١١- استطاع الوقف أن يقضي على ظاهرة التفكك الأسري وتعزيز الجانب الاخلاقي والسلوكي في المجتمع عن طريق القضاء على مصادر الانحراف ،فهناك أوقاف كثيرة كما ذكرنا خصص ريعها الى المطلقات من النساء اللاتي لا يجدن أهلاً أو أقارب ،فهذه الأوقاف صانت أعراضهن وأبعدتهن عن الوقوع في مهاوي الرذيلة والانحراف ،فضلاً عما يقوم به الوقف من الإنفاق على هؤلاء النسوة في أمور التعليم والمعيشة .
- ١٢- لعبت الأوقاف دوراً كبيراً في التلاحق الفكري والمعرفي بين دول العالم الاسلامي ، فأهل المشرق يذهبون إلى المغرب طلباً للعلم والمعرفة وهؤلاء يحتاجون إلى أماكن للدراسة والسكن ،وهذه يقدمها الوقف لهؤلاء ولولا هذه الأوقاف لما استطاعوا التنقل بين بلاد العالم طلباً للعلم والمعرفة .
- ١٣- أدى الوقف إلى تمكين أناس كثيرين من تحسين مستوياتهم العلمية والثقافية والاقتصادية فمنهم من درس الطب ليصبح طبيباً وبالتالي يتحسن وضعه المالي والاجتماعي وهذا بفضل الله ثم بفضل الأوقاف .
- ١٤- إنّ الأوقاف العديدة في تاريخ الأمة أتاحت للدولة التخفيف من كثير من المسؤوليات التي حملت هذه الأيام لميزانيات الدولة ،والتي أصبحت تستنفذ معظم الدخل القومي في أنشطة غير منتجة .

(١) ينظر :- المرجع نفسه

ثانياً : التوصيات

بعد نهاية البحث نود أن نسجل بعض التوصيات التي ندعو للأخذ والعمل بها وهي على النحو الآتي :

- ١- لقد ظهرت الحاجة الأساسية في هذا الزمن إلى أن نطالب بقوة إلى عودة الأوقاف كما كانت عليه في السابق ، فالدول القائمة في الوقت المعاصر مهما كانت متقدمة ومنتطورة فأنها لا تزال عاجزة عن توفير الرعاية الاجتماعية. بسبب ما ينخرها من فساد وعدم خبرة في هذا المجال ،وهناك بعض الدول التي تتعرض الى ظروف مالية صعبة ،كل هذا يتطلب ان يأخذ ابناء المجتمع دورهم الإنساني في المشاركة في رعاية وإغاثة الفقراء والمحتاجين وأصحاب الاحتياجات الخاصة عن طريق ما يقدمونه من مساهمات فاعلة عن طريق الاوقاف وغيرها بقدر ما يخفف عن كاهل المجتمع .لذا فان الحاجة ماسة لتكثيف الدعوة نحو اعادة الوقف لموقعه الطبيعي في نهضة الامة الاسلامية
- ٢- نرى أن ما يقدم من صدقات ومساعدات الى الفقراء والمحتاجين من الجهات الخيرية أن تكون فيه صفة الوقية للمحافظة على هذه الأموال من الضياع والتعدي لأن في الوقف تكون فيه الديمومة أكثر من الصدقات العادية.
- ٣- نرى مراجعة آراء الفقهاء والمذاهب الفقهية الاجتهادية والأخذ برأي أي فقيه ينسجم مع المرحلة المعاصرة وان لم يكن راجحاً لأنه اجتهاد أولاً و آخرأ والمسائل الاجتهادية قابلة للتبديل والتغيير .
- ٤- نرى النظر في تحويل الزوايا والتكايا الموقوفة الى دور للأيتام أو العجزة والمسنين لأن الحاجة اليها أصبح أكثر من غيرها والأخذ بالرأي الذي يجيز ذلك .
- ٥- إن النظام الذي تدار فيه الأوقاف في العصر الحالي هو موروث عن الدولة العثمانية وما زال هذا النظام هو نفسه النظام فأرى تطوير هذا النظام وفق آليات وأساليب وطرق معاصرة ومنتطورة لإدارة الاوقاف والنهوض بها تتناسب مع التقدم والتطور العلمي والأخذ بالنظم الإدارية الغربية في مجال التنظيم المالي والإداري والمحاسبي مع الالتزام بالثوابت الاسلامية لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

Conflicts Of Interest

The author declares no conflicts of interest with regard to the subject matter or findings of the research.

Funding

The lack of a funding acknowledgment in the paper indicates that no financial support was provided by any institution or sponsor.

Acknowledgment

The author extends gratitude to the institution for fostering a collaborative atmosphere that enhanced the quality of this research.

References

- [1] The Holy Quran.
- [2] Dunya, S. A. (1415 AH). *Athar al-waqf fī injāz al-tanmiyah al-shāmilah. Majallat al-Buḥūth al-Fiqhiyyah al-Mu'āshirah*, 16. [Ketaab online](#)
- [3] Al-Sudhan, A. N. (n.d.). *Al-āthār al-ijtimā'iyah li-l-awqāf*. [Islam way](#)
- [4] Al-Kubaysi, M. 'U. (1387 AH / 1977 CE). *Aḥkām al-waqf fī al-sharī'ah al-islāmiyyah*. Wizarat al-Awqāf wa-Iḥyā' al-Turāth al-Islāmī / Maṭba'at al-Irshād. [moswarat](#)
- [5] Al-Zarqā, M. (n.d.). *Aḥkām al-waqf*. Al-Jāmi'ah al-Sūriyya. [waqfeya](#)
- [6] Ibn al-Qayyim (Muḥammad b. Abī Bakr). (1414 AH). *I'lām al-muwaqqi'īn 'an rabb al-'ālamīn* (I. Al-Sabbābtī, Ed.). Dār al-Ḥadīth. [shamela](#)
- [7] Abu al-Rub', M. (1425 AH / 2005 CE). *Awqāf Bayt al-Maqdis wa-atharuhā fī al-tanmiyah al-iqtisādiyyah*. Al-Dār al-'Uthmāniyyah. [noor-book](#)
- [8] Al-Qaḥṭānī, R. S. (1414 AH). *Awqāf al-Sulṭān al-Ashraf Sha'bān*. Maktabat al-Malik Fahd al-Waṭaniyyah. [dawa.center](#)
- [9] Amīn, M. (1980). *Al-awqāf wa-al-hayāh al-ijtimā'iyah fī Miṣr (648–923 H): Dirāsah tārikhiyyah wa-wathā'iqiyyah*. Dār al-Nahḍah al-'Arabiyyah. [noor-book](#)
- [10] Ibn Kathīr, I. b. 'U. (1351 AH / 1932 CE). *Al-bidāyah wa-al-nihāyah*. Maṭba'at al-Sa'ādah. [noor-book](#)
- [11] Al-Ṭabarī, M. b. Jarīr. (1380 AH / 1960 CE). *Tārikh al-rusul wa-al-mulūk*. Dār al-Ma'ārif. [shamela](#)

- [12] Khanfar, K. (1404 AH / 1984 CE). *Tārīkh al-ṭibb fī al-Islām* (1st ed.). Dār al-Ḥasan.
- [13] ‘Alī, M. Ḥ., & Mur‘ib, ‘A. R. (1377 AH / 1957 CE). *Tārīkh al-‘Arab wa-al-Muslimīn*. Al-Maṭba‘ah al-Waṭaniyyah wa-Maktabatuhā. [Google Books](#)
- [14] Ṣabrī, ‘I. S. (1405 AH / 1985 CE). *Al-tamrīḍ fī al-tārīkh al-islāmī* (1st ed.). Dār al-Thaqāfah. [iefpedia](#)
- [15] Al-Qurṭubī, A. ‘A. (1408 AH / 1988 CE). *Al-jāmi‘ li-aḥkām al-Qur‘ān al-karīm* (M. ‘A. ‘Aṭā’, Ed.). Dār al-Fikr li-l-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘. [noor-book](#)
- [16] Ibn ‘Ābidīn, M. A. (n.d.). *Hāshiyat Radd al-muḥtār ‘alā al-Durr al-mukhtār* (2nd ed.). Sharikat Maktabat wa-Maṭba‘at Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī. [shamela](#)
- [17] Al-Māwardī, A. al-Ḥ. M. b. Ḥ. (1414 AH / 1994 CE). *Al-ḥāwī al-kabīr fī fiqh al-Imām al-Shāfi‘ī* (M. ‘A. Mu‘awwad & ‘A. A. ‘Abd al-Jawwad, Eds.; 1st ed.). Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah. [shamela](#)
- [18] Ibn Jubayr, M. b. A. (n.d.). *Rihlat Ibn Jubayr*. Dār Ṣādir. [shamela](#)
- [19] Al-Bayhaqī, A. B. M. b. al-Ḥ. (n.d.). *Al-sunan al-kubrā*. Dār Ṣādir. [shamela](#)
- [20] Ibn Hishām, ‘A. M. (1375 AH / 1955 CE). *Al-sīrah al-nabawīyyah (Sīrat Ibn Hishām)* (2nd ed.). Sharikat Maktabat wa-Maṭba‘at Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī. [noor-book](#)
- [21] Ibn al-Humām, ‘A. al-W. (n.d.). *Sharḥ Fath al-Qadīr* (2nd ed.). Dār al-Fikr. [Internet Archive](#)
- [22] Al-Khurāshī, M. (n.d.). *Sharḥ Manah al-Jalīl ‘alā Mukhtaṣar Khalīl*. Dār Ṣādir. [Internet Archive](#)
- [23] Al-Bukhārī, M. b. Ismā‘īl. (1407 AH / 1987 CE). *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (M. Al-Bughā, Ed.; 3rd ed.). Dār Ibn Kathīr / Al-Yamāmah. [Internet Archive](#)
- [24] Muslim b. al-Ḥajjāj. (n.d.). *Ṣaḥīḥ Muslim ma‘ Sharḥ al-Nawawī*. Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah. [noor-book](#)
- [25] Al-Dabbū, I. F. (1408 AH). *Al-damān al-ijtimā‘ī fī al-Islām*. Maṭba‘at al-Rashād.
- [26] Al-Darīr, Al-Ṣ. M. (1415 AH / 1995 CE). *Fiqh al-waqf fī al-Islām*. Al-Nadwah al-‘Ālamiyyah li-Tanmiyat wa-Taṭwīr al-Awqāf.
- [27] Al-Fīrūzābādī, M. b. Y. (1911). *Al-qāmūs al-muḥīṭ* (1st ed.). Al-Maṭābī‘ al-Ḥusaynīyah. [shamela](#)
- [28] Al-Bahūtī, M. b. I. b. Y. (1319 AH / 1901 CE). *Kashshāf al-qinā‘ ‘alā matn al-iqnā‘* (1st ed.). Al-Maṭba‘ah al-Sharqiyyah. [shamela](#)
- [29] Ibn Manzūr, M. b. M. (n.d.). *Lisān al-‘Arab*. Dār Ṣādir. [shamela](#)
- [30] Al-Sarakhsī, M. b. A. (1406 AH / 1986 CE). *Al-mabsūt*. Dār al-Ma‘rifah. [shamela](#)
- [31] Al-Rāzī, M. b. A. ‘A. (1387 AH / 1967 CE). *Mukhtār al-ṣiḥāḥ* (1st ed.). Dār al-Kitāb al-‘Arabī. [noor-book](#)
- [32] Ma‘rūf, N. (1960). *Al-madkhal fī tārīkh al-ḥaḍārah al-‘Arabiyyah* (1st ed.). Maṭba‘at al-‘Ānī. [noor-book](#)
- [33] Al-Fayyūmī, A. b. M. al-Muqrī. (1341 AH / 1922 CE). *Al-miṣbāḥ al-munīr fī gharīb Sharḥ al-Kabīr* (5th ed.). Al-Maṭba‘ah al-Amīriyyah. [noor-book](#)
- [34] Majma‘ al-Lughah al-‘Arabiyyah. (1392 AH / 1972 CE). *Al-mu‘jam al-wasīṭ* (2nd ed.). [noor-book](#)
- [35] Al-Shirbīnī, Sh. al-D. M. b. A. (n.d.). *Mughnī al-muḥtāj ilā ma‘rifat ma‘ānī al-fāz al-minḥāj*. Dār Iḥyā‘ al-Turāth al-‘Arabī. [shamela](#)
- [36] Ibn Qudāmah, ‘A. (1414 AH / 1994 CE). *Al-mughnī*. Dār al-Fikr. [shamela](#)
- [37] Al-‘Ārif, ‘Ā. (1393 AH / 1973 CE; 1381 AH, 1st ed.). *Al-mufasssal fī tārīkh al-Quds*. Maṭba‘at al-‘Ārif. [noor-book](#)
- [38] Al-Shinqīṭī, A. b. A. M. (1987). *Mawāhib al-jalīl ‘alā Mukhtaṣar Khalīl*. Dār Iḥyā‘ al-Turāth al-Islāmī. [shamela](#)
- [39] ‘Āshūr, S. (1987). *Al-mu‘assasāt al-ijtimā‘īyyah fī al-ḥaḍārah al-‘Arabiyyah* (in *Mawsū‘at al-ḥaḍārah al-‘Arabiyyah al-Islāmiyyah*). Al-Mu‘assasah al-‘Arabiyyah li-l-Dirāsāt wa-al-Nashr.
- [40] Al-Marghīnānī, B. al-D. (1908). *Al-hidāyah: Sharḥ Bidāyat al-mubtadī* (1st ed.). Al-Maṭba‘ah al-Khayriyyah. [shamela](#)
- [41] Ṣabrī, ‘I. S. (1428 AH / 2008 CE). *Al-waqf al-islāmī bayna al-naẓariyyah wa-al-taṭbīq* (1st ed.). Dār al-Nafā‘is. [noor-book](#)
- [42] Abu Sulaymān, ‘A. al-W. (1420 AH). *Al-waqf: Maḥmūhu wa-maqāsiduhu*. In *Nadwat al-Maktabāt al-Waqfiyyah fī al-Mamlakah al-‘Arabiyyah al-Sa‘ūdiyyah* [iefpedia](#)